ديوان الشافعي

حبر الأمة وإمام الأئمة

الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

المولود عام ١٥٠ هـ : ٧٦٧ م

والمتوفى عام ٢٠٤ هـ : ٨٢٠ م

تحقيق

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش الصنادقية - الأزهر - القاهرة

الطبعة الثانية
مزيدة ، منقحة
١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م

• تم الصف والتصوير على أجهزة الكمبيوتر
بـــــدار
الغـد العربى
٣ شــارع دانش ـ العباسية
القـــاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة الديوان

سـيرة الإمام الشافعى وشاعريته

بقلم : د . محمد عبد المنعم خفاجى

ـ ١ ـ

الإمـام الشـافعى هو من هو ، إمـامة فى الدين والفقه والأصول والحديث واللغة والأدب والشعر والنقد .

حدَّث الـربيع بن سليمان قال : سمعت عبـد الملك بن هشـام النحوى صاحب المغازى يقول : (الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة) . وقال أحمد بن حنبل : كان الشافعى (من أفصح الناس ، وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحاً) .

وحدث أبو عبيد القاسم بن سلام قال : كان الشافعى ممن يؤخذ عنه اللغة (أو من أهل اللغة) .

وقال الربيع بن سليمان (كان الشافعى عربى النفس عربى اللسان) .

وقال أحمد بن أبى سريج (ما رأيت أحدا أفوه ، ولا أنطق من الشافعى) .

وحدث أبو نعيم الاستراباذى ، سمعت الربيع يقول : « لو رأيت الشافعى وحسن بيانه وفصاحته لعجبت منه ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته ـ التى كان يتكلم بها معنا فى المناظرة ـ لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه ـ غير أنه كان فى تأليفه يجتهد فى أن يوضح للعوام » .

وقال الجاحظ (نظرت فى كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا فى العلم ، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبى (الشافعى) كأن كلامه دراً إلى در) .

وقـال الإمام أحمد : « ما مس أحد محبرة ولا قلمًا إلا الشافعى فى عنقه منه » .

وقال الذهبى : « كان حافظاً للحديث بصيراً بعلله ، لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده ، ولو طال عمره لازداد منه » . .

والشافعى هو محمد بن إدريس بن العبَّاس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنابة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَدَ .

يلتقى مع رسـول الله ﷺ فى عبد المطلب ، فهو من هاشم عم رسول الله ﷺ وعن وُلادته فقد روى رحمه الله عن نفسه ، قال :

ولدت بغزَّة سنة خمسين ومائةٍ ـ يوم وفاة أبى حنيفة فقال الناس مات إمام وولد إمام ـ وحُمِلْتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين . وقال : وكانت أمى من الأزد .

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير : أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعى وهو مُستحضّ فى طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له إلى كم هذا ؟ ! لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك ، وانصرفت به معى إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقلّ ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين ، قال فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذى صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

ويروى عن الشافعى أنه قال : كنت أنا فى الكتّاب أسمع المعلم يلقن الصبىَّ الآية فأحفظها أنا ، ولقد كنتُ ـ قبل أن يفرغ المعلم من الإملاء ـ قد حفظت جميع ما أملى ، فقال لى ذات يوم : ما يحلّ لى أن آخذ منك شيئاً ، قال : ثم لما خرجت من الكُتّاب كنتُ أتلقَّطُ الْخَزَفَ(١) والدّفوف(٢) وكَرَبَ النَّخلِ(٣) وأكتاف الْجِمالِ(٤) أكتب فيها الحديث وأجىء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور(٥) فأكتب فيها حتى كانت لأمى حِبابٌ(٦) فملأتها أكتافاً وخزفاً وكَرَباً مملوءَةً حديثا ، ثم إنى خرجت عن مكة فلزمت هُذَيلاً فى البادية أتعلمُ كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب .

(١) الخزف : كل ما عمل من طين وشوى حتى يكون فخاراً .

(٢) الدفوف : الجلود التى يعمل منها الطبل .

(٣) كرب النخل : أغصان النخل العريضة الغليظة .

(٤) أكتاف الجمال : جمع كتف عظم عريض خلف المنكب .

(٥) أى الأوراق .

(٦) حباب : جمع حب . وعاء يوضع فيه الماء مثل الجرة .

قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشدُ الأشعار وأذكر الآداب والأخبار ، وأيام العرب ، فمر بي رجل من الزُّبيريين من بنى عمى فقال لى ، ياأبا عبد الله : عزّ علىّ ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكون قد سُدْت أهل زمانك ، فقلت : فمن بقى نقصد ؟ فقال لى : مالك بن أنس سيدُ المسلمين يومئذ ، قال : فوقع فى قلبى فعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته فى تسع ليالٍ ظاهراً قال : ثم دخلت إلى والى مكة وأخذت كتابه إلى والى المدينة ، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالى ، فلما أن قرأ قال : يافتى إن مشيى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علىَّ من المشى إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذُّلَّ حتى أقف على بابه ، فقلت : ـ أصلحَ الله الأمير ـ إن رأى الأمير أن يُوجِّه إليه ليحضر ، قال هيهات ، ليت أنى إذا ركبت أنا ومن معى وأصابنا من تراب العقيق[١] نلنا بعض حاجتنا . قال : فواعدته العصر وركبنا جميعاً ، فوالله لكان كما قال : لقد أصابنا من تراب العقيق . قال : فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولى لمولاك إنى بالباب قال : فدخلتْ فأبطأت ثم خرجتْ فقالت : إن مولاى يقرئك السلام ويقول : إن كانت مسألة فارفعها فى رقعةٍ يخرج إليك الجواب . وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولى له إن معى كتابا من والى مكة إليه فى حاجة مهمة . قال : فدخلت وخرجت وفى يدها كرسى فوضعته ، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . وهو شيخ طويل مسنون اللحية[٢] ،

---

(١) الوادى وكل مكان شقه السيل ، واسم واد فى ظاهر المدينة .

(٢) مسنون اللحية : أى طويلها .

فجلس وهو مُتَطَلِّسٌ[1] فرفع إليه الوالى الكتاب ، فبلغ إلى هذا « إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدِّثهُ وتفعل وتصنع » ، فرمى بالكتاب من يده ثم قال سبحان الله! أوصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل ؟ قال : فرأيت الوالى تَهيبهُ أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت : ـ أصلحك الله ـ إنى رجل مُطَّلبىٌّ ومن حالى وقصتى ، فلما سمع كلامى نظر إلىَّ ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لى : ما اسمك ؟ قلت محمد ، فقال لى يامحمد : اتق الله واجتنب المعاصى ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غداً تجىء ويجىء من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة .

قال : فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب فى يدى فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتى وإعرابى فيقول يافتى زد حتى قرأته[2] فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لى بها الشأن وكان بها وال من قبل الرشيد ، وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم . قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا ـ فكتب الوالى ـ وإنى أخاف أن يخرجوا وإن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولا نهى . قال : فكتب إليه هارون الرشيد : أن احمل هؤلاء واحمل الشافعى معهم . فقُرنت معهم . قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن . قال : فدعا

---

(١) أى لابس الطيلسان : هو كساء مدور أخضر .

(٢) أى الموطـــأ .

هارون الرشيد بالنّطع[1] والسيف ، وضرب رقاب العلوية ، ثم التفت محمد بن الحسن فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المطلبى لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسنٌ ، فقلت مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنك الداعى وأنا المدعو ، وأنت القادر على ما تريد منى ولست القادر على ما أريد منك .

يا أمير المؤمنين ، ما تقول فى رجلين : أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده أيهما أحب إلى ؟ قال : الذى يراك أخاه . قال : قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين . قال فقال لى : كيف ذاك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : أنكم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم . قال فسُرّى ما كان به فاستوى جالساً فقال : يا ابن إدريس : كيف علمك بالقرآن ؛ قلت : عن أى معلومة تسألنى ؟ عن حفظه قد حفظته ووعيته بين جنبى وعرفت وقفه وابتداءه ، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه وما خوطب به العام يراد به الخاص ، وما خوطب به الخاص يراد به العام . فقال لى : والله يا ابن إدريس لقد ادعيت علمًا فكيف علمك بالنجوم ؟ فقلت : إنى لأعرف منها البرىّ من البحرى والسهلى والجبلى والفيلقى[2] والُمصبَح وما تجب معرفته . قال : فكيف علمك بأنساب العرب ؟ قال فقلت إنى لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبى نسب أمير المؤمنين . قال : لقد ادعيت علما فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ قال : فذكرت موعظة لطاووس اليمانى

---

(١) بساط من الجلد .

(٢) كلمة يونانية .

فوعظته بها ، فبكى وأمر لى بخمسين ألفاً وحملت على فرسى وركبت من بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه . قال : فلحقنى هرثَمة وكان صاحب هارون الرشيد فقال : اقبل هذه منى . قال فقلت إنى لا آخذ العطية ممن هو دونى وإنما آخذها ممن هو فوقى . قال : فوجد فى نفسه . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلى فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لى ووجِّه بها إلى . قال : فكتب لى ووجه بها إلى .

وقد قضى الشافعى السنوات الأخيرة من حياته فى مصر . ففى يوم الخميس أول ربيع الثانى عام ١٩٩ هـ ـ التاسع عشر من نوفمبر عام ٨١٤م ، أى منذ اثنى عشر قرنا هجريا ، أو ١١٦٥ عاما ميلادياً ـ وفد على مصر الفسطاط من مكة المكرمة عالم قريش وإمامها ، محمد بن إدريس الشافعى ، ومعه ابنه أبو عثمان محمد (ـ ٢٣٢ هـ) ، ومعه كذلك زوجه حميدة حفيدة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، ثم بنتاه زينب وفاطمة ، وذلك للإقامة الدائمة فيها ، وكان فى ركبه تلميذه أبو بكر الحميدى (ـ ٢١٩ هـ) .

وكانت شهرة محمد بن إدريس العلمية ملء الأسماع والبقاع ، فالعالم الإسلامى كله يذكره بالخير والتقدير والإكبار . . .

وصادف دخوله الفسطاط دخول نائب والى مصر الجديد ، الأمير العباسى ، عبد الله بن عباس بن موسى . وكان الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) قد ولى العباس بن موسى على مصر ، فبعث ابنه عبد الله إلى الفسطاط نائباً عنه فى حكم البلاد فدخلها فى اليوم الذى

دخلها فيه الشافعى مدينة مصر وعاصمتها ، وقبلة الإسلام فيها ، الفسطاط .

ونزل ابن إدريس فيها على أخواله من الأزد ، ثم كان فى ضيافة عبد الله بن عبد الحكم القرشى (١٥٥ - ٢١٤ هـ) ، وهو صديقه وزميله فى طلب العلم فى حلقة الإمام مالك ، رضى الله عنه ، فى المدينة المنورة . . .

وأخذ ابن إدريس يتردد على جامعة ، أوجامع ، الفسطاط ، للصلاة ، ولحضور حلقات العلم فيه وكان أبو رجب الخولانى العلاء ابن عاصم يتولى إمامة الجامع العتيق ، جامع عمرو ، أوتاج الجوامع ويلقى قصص السيرة والفتوح ، فى إحدى حلقاته ، وكان الشافعى يصلى خلفه ، ويقول فيه : ما صليت خلف أحد أتم صلاة من أبى رجب (١٣٥و ١٣٦ / ٢ حسن المحاضرة للسيوطى) .

وها هو ذا ابن إدريس عالم قريش ، « الذى ملأ طباق الأرض علمًا » كما وصفه الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) يجلس فى جامعة الفسطاط ، فى حلقة علمية خاصة به ، ومن حوله ابنه أبو عثمان ، وتلميذه الحميدى ، ومحمد (١٨٢ - ٢٦٨ هـ) ابن صديقه القرشى عبد الله بن عبد الحكم ، وكان محمد كأبيه مالكيا ، ولكنه أنس بالشافعى ، ووثق بعلمه ، ورغب فى الإفادة منه ، فأخذ يتردد على حلقة صديق أبيه ، وخاف المالكيون ذلك وأنكروه لما فيه من وضوح الانصراف عن المذهب إلى مذهب هذا القادم الجديد ، وشكوا إلى أبيه ، فأخذ يخفف من حدتهم ، ويهدىء من ثورتهم ويقول لهم إن ابنى محمداً شاب صغير ، يحب أن يستمع إلى الآراء وأن يناقشها .

ثم كان إذا انفرد بابنه يقول له : يا بنى ، الزم ابن إدريس . وكان عبد الله إماماً جليلا ، تصدر زعامة المذهب المالكى وتدريسه فى جامعة الفسطاط ، وألف كتباً فيه ، وأبناؤه الثلاثة : عبد الحكم (ـ ٢٣٧ هـ) ومحمد (ـ ٢٦٨ هـ) ، وعبد الرحمن المؤرخ ، كانوا نجوم الفسطاط ، ملأوا آفاقه علمًا وفضلاً ، وقد جلسوا فى حلقة ابن إدريس ، وأفادوا من علمه وكان عبد الرحمن من أحرصهم على التردد عليها وكانت أسرة عبد الحكم فى الفسطاط أسرة جاه ومجد وعلم ، يأوى إليها العلماء والأدباء والشعراء ويستظلون بظلها ، ويلقون الكثير من برهم وكرمهم .

وتعهدت ابن إدريس بالبر والرعاية كذلك السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور . حفيدة زيد بن الحسن بن على (١٤٥ ـ ٢٠٨هـ) وكانت قد هاجرت إلى الفسطاط عام ١٩٣ هـ ، وأقامت فيه ، فراراً من اضطهاد العباسيين للبيت العلوى ، وظلت فى مصر هى وزوجها إسحاق بن الإمام جعفر الصادق رضى الله عنهم ، وعاشت فى الفسطاط خمسة عشر عاما إلى أن وافاها الأجل عام ٢٠٨ هـ ، وكانت حفاوتها بابن إدريس لا تعادلها حفاوة .

ورأى الناس عالما من قريش ، يجلس فى جامعتهم للتعليم ، يصلى فلا يرون أحسن صلاة من صلاته ، ويتحدث فلا يسمعون أعذب حديثاً من حديثه ، مع صباحة وجهه ، وواسع كرمه ، وعلو كعبه ، فافتتنوا به ، وواظبوا على الجلوس فى حلقته .

وخف إلى مجلس ابن إدريس العلمى فى جامعة أو جامع الفسطاط : البويطى (ـ ٢٣١هـ) والربيع الجيزى (ـ ٢٥٦هـ) ، والمزنى (ـ ٢٦٤هـ) ، والربيع بن سليمان المرادى (ـ ٢٧٠هـ) ،

ويونس بن عبد الأعلى (١٧٠ ـ ٢٦٨ هـ) وغيرهم .

واتسعت حلقته اتسعاً كبيراً ، حيث أخذ الشافعى يلقى محاضراته فى الفقه وأصوله وفى التفسير والحديث ، وفى اللغة والأدب ، على الطلاب ، ويملى عليهم رسائله وكتبه .

ومع أن حلقات العلم فى جامعة الفسطاط كانت : كثيرة وكبيرة ، إلا أن حلقة ابن إدريس كثر طلابها ومريدوها كثرة مذهلة ، وصارت بكثرة المترددين عليها أكثر الحلقات ، وأعظمها أثراً فى خدمة الدين واللغة والأدب .

وكان ابن هرم يكتب للأستاذ الجليل ابن إدريس ، والبويطى يقرأ له الدرس والطلاب يسمعون ثم يكتبون ، وفى زاوية الخشابية بالمسجد الكبير ـ الجامعة الإسلامية الأولى فى مصر ـ التى عرفت بابن إدريس كان نسكه وعبادته ، وكان يجلس فيها ليكتب ، ومن حوله تلاميذه ومريدوه .

ولما وقف الإمام الشافعى على قبر الليث بن سعد (٩٣ ـ ١٧٥ هـ) ، قال : لله درك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يَحزْهُنَّ عالم ، العلم والعمل والزهد والكرم .

وكان يبدأ دروسه بالقرآن وتفسيره ، ثم بالحديث وعلومه ، ثم بالفقه وأصوله ، ثم بالعربية وعلومها .

وكان يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن نظر فى اللغة رق طبعه ، ومن نظر فى الحساب جزل رأيه . وكان يناظر سرج الغول

الشاعر الأديب فى الأدب والشعر والنقد ، وكان لسرج حلقة أدبية كبيرة فى الجامع العتيق .

وكان لابد أن يغضب المالكيون خوفاً على مكانتهم الروحية التى زعزع منها ابن إدريس ، إذ لم يصبحوا فى الصدارة كما كانوا من قبل ، حتى إن « فتيان بن أبى السمح » المالكى الفقيه ناظر الشافعى ، وأسرف فى اللدد والخصومة فى مناظرته ، ووجه إلى ابن إدريس كلاماً لايصح أن يقال له ، فعلم أمير مصر بالأمر ، فعاقب ابن أبى السمح عقاباًشديداًزاجراً . وأخذ تلاميذ « فتيان بن أبى السمح » يطاردون كل من يذهب إلى حلقة الشافعى ، غضباً لأستاذهم ، وجاء عيسى بن المنكدر قاضى مصر فيما بعد على مدى عامين (٢١٢ - ٢١٣هـ) إلى الأستاذ العظيم ابن إدريس يلقى عليه اللوم لأنه أحدث مذهباً جديداً . ولكن الجماهير كانت بالمرصاد لكل من حاول أن يمس مكانة الأستاذ الجليل ، كما كان والى مصر « السرى » (المتوفى عام ٢٠٥ هـ) بالمرصاد لابن أبى السمح حيث عاقبه عقاباً رادعاً .

★ ★ ★ ★

وكان الإمام ابن إدريس يذكر مكة المطهرة فى شوق كبير إليها ، ويذكر إمام بغداد أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) بالشوق والحب ويقول : « لقد وعدنى أحمد أن يقدم إلى مصر » ويقول لتلميذه يونس ابن عبد الأعلى (٢٧٠ هـ) يا يونس أدخلت بغداد ؟ فرد عليه يونس : لا قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

وكان ابن إدريس يقول عن ابن عبد الأعلى هذا : ما رأيت أحداً

أعقل من يونس بن عبد الأعلى . وكان أحمد بن حنبل يقول فى الشافعى : « كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس » ، ويقول عنه : ما علمت أحداً أعظم مِنَّةً على الإسلام فى زمن الشافعى من الشافعى . ويقول ما رأيت أحداً أفقه فى كتاب الله تعالى من هذا القرشى .

ـ ٢ ـ

وكان ابن إدريس قد ولد فى غزة عام ١٥٠ هـ ، وبين غزة وعسقلان عاش مع أمه يتيما عامين . ثم ذهبت به الأم إلى بلده مكة البلد الحرام ، فلما جاوز الرابعة من عمره أقبل على القرآن الكريم يحفظه ، وما أتم السابعة إلا وقد تم حفظه وتجويده .

ويقص عن نفسه قصة حياته الأولى فيقول :

وخرجت إلى البادية ، فلزمت هذيلا ، أتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم . فلما رجعت إلى مكة ، جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب ، فمر بى رجل من الزبيريين ، فقال : لقد عز على أن لا يكون مع هذه اللغة ، وهذه الفصاحة والذكاء ، فقه ، فلو حصلت الفقه . فتكون قد سدت أهل زمانك .

فقال الشافعى : ومن بقى يقصد ؟ فقال : هذا مالك سيد المسلمين فى المدينة . فوقع كلامه فى قلبى . فاستعرت « الموطأ » وحفظته فى تسع ليال ، وعزمت على الرحلة إلى مالك .

ويقول محمد ابن بنت الشافعى : أقام الشافعى على تعلم العربية وأيام الناس عشرين سنة ، وقال : ما أردت منه إلا الاستعانة على الفقه .

أصبح لابن إدريس شأن فى حلقات المسجد الحرام ، لما عرف به من حدة الذكاء . وجودة الطبع ، وجمال البيان ، وفصاحة اللهجة . وحسبك به حفظه لكتاب الله وهو فى السابعة وللموطأ وهو فى العاشرة ، وتصدره لحلقة فى المسجد الحرام وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، ثم الإذن له بالإفتاء وهو فى العشرين .

وكان يحفظ من شعر الهذليين وحدهم عشرة آلاف بيت ، عدا ما حفظه من شعر العرب وخطبهم وبلاغتهم .

أخذ فى المسجد الحرام العلم والفقه عن أئمة الفقه والتفسير والحديث واللغة ، وجلس فى حلقة مسلم بن خالد الزنجى ، مفتى مكة وفقيهها (١٨٠ هـ) . وسفيان ابن عيينة (١٩٨ هـ) شيخ المحدثين ، وكان سفيان يقول فيه : هذا أفضل فتيان أهل زمانه .

ثم غادر مكة إلى مدينة رسول الله ، ليأخذ الحديث على مالك شيخ المحدثين (٩٤ ــ ١٧٩هـ) . وفى حلقته تعرف بالكثير من أترابه الشداة الناهجين نهجه فى التعلم والتعليم .

ولم يلبث أن ولى قضاء اليمن ، بمساعدة مصعب بن عبد الله القرشى وتوصيته عليه عند والى اليمن ، وفى اليمن لقى جماعة من العلماء والمحدثين أخذ عنهم ، وأفاد منهم كمطرف بن مازن الصنعانى ، وعمرو بن أبى مسلمة صاحب الأوزاعى ، ويحيى بن

حسان صاحب الليث بن سعد إمام مصر . وهشام بن يوصف قاضى صنعاء ، وغيرهم واتهمه حساده والحاقدون عليه بالعلوية ، ورفع أمره إلى الرشيد فاستدعاه وساءله ، وكان ذلك عام ١٨٤ هـ فنفى الشافعى ذلك عن نفسه ، وشهد له محمد بن الحسن (١٣٢ - ١٨٩هـ) لدى الرشيد ، وكان محمد زميلا للشافعى فى حلقة الإمام مالك ، فى المسجد النبوى فى المدينة المنورة ، فعفا الرشيد عنه ، وأخذ يتردد على حلقات العلم فى بغداد ولم يلبث أن عاد إلى مكة ، حيث عاود تصدر حلقته فى المسجد الحرام .

وزار الإمام أحمد بن حنبل مكة عامى ١٨٧ ، ١٩١ هـ وجلس إلى الشافعى ، وملأ قلبه وعقله جميعاً . وكان أحمد يقول فيه لبعض أصحابه : تعال حتى أريك اليوم رجلا لم تر عيناك مثله ، إن فاتك عقله فإنى أخاف ألا تجده إلى يوم القيامة ويقول ما رأيت أحداً أفقه فى كتاب الله تعالى من هذا القرشى ، وجاء الأصمى (٢١٦ هـ) إلى مكة ، ولقى الشافعى ، وأخذ عنه أشعار هذيل كما أخذ عنه شعر الشنفرى ، مع جلالة قدر تحصيله للغة والأدب والشعر ، ولكن ليس ذلك على الشافعى ، وقد كان الحافظ (٢٥٥ هـ) يقول فيه : كأن لسانه ينفث الدر .

وبعد أحد عشر عاماً من رحلته إلى بغداد ، عاد عام ١٩٥ هـ إليها ثانية فى خلافة الأمين ، فقضى فى العراق عامين ، وجلس فيهما إلى علماء بغداد ، وجلسوا إليه : الحسن بن زياد اللؤلؤى (٢٠٤) . والكرابيسى (٢٤٥) ، وأبو ثور (- ٢٤٠هـ) ، والزعفرانى (- ٢٦٠هـ) .

وقرأ كتب أبى حنيفة (١٥٠هـ) ، وأصحابه : أبى يوسف (١١٣ ـ ١٨٣) ومحمد بن الحسن (١٢٢ ـ ١٨٩هـ) : وأملى مذهبه القديم فى بغداد .

وعاد إلى مكة عام ١٩٧ هـ ، ولم يلبث أن تركها إلى بغداد ، فدخلها للمرة الثالثة عام ١٩٨ هـ ، ليقيم فيها عدة أشهر ، يرحل بعدها إلى مصر الفسطاط ، وإلى جامعة الفسطاط ، فى رحلته الخالدة ، التى جاءت فى نهايات حياته .

ـ ٣ ـ

وفى مصر الفسطاط كانت قد نشأت مدارس فقهية كثيرة ، ففيها نبغ عبد الله بن وهب (١٢٤ ـ ٢٢٠ هـ) أحد الأئمة المجتهدين ، والليث بن سعد (٩٤ ـ ١٧٥ هـ) فقيه مصر وإمامها ومحدثها ، ومن تلامذة الليث : إسحاق بن الفرات (٢٠٤ هـ) وإسحاق بن بكر (٢١٨ هـ) .

وحل الشافعى بالفسطاط ، فقاد حركة فقهية جديدة ، كان لها صداها العميق فى العالم الإسلامى .

كان أهل مصر يعتمدون على فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٨ هـ) من الصحابة ، ويزيد بن أبى حبيب (ـ ١٢٨ هـ) من التابعين ، وأهل مكة يتبعون فتاوى عبد الله بن مسعود (ـ ٣٦ هـ) وتلاميذه من التابعين ، وأهل البصرة يعتمدون على فتاوى أبى موسى الأشعرى وأنس بن مالك من الصحابة ، والحسن البصرى . . .

وابن سيرين (١١٠ هـ) من التابعين . وأهل الشام يتبعون فتاوى معاذ بن جبل (ـ ٢٨هـ) ، وعبادة بن الصامت (ـ ٣٤ هـ) من الصحابة ، وعمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ) وأضرابه من التابعين .

وظهر أعلام من الفقهاء المشرعين ، الذين كانت لهم آراء ومذاهب في التشريع الإسلامي وفي مقدمتهم :

ـ سعيد بن المسيب بالمدينة (ـ ٩٤ هـ) .
ـ عروة بن الزبير بالمدينة (٩٤ هـ) .
ـ سفيان بن عيينة بمكة (١٩٨ هـ) .
ـ ابن أبي ذئب .
ـ ابن جريج (ـ ١٥٠ هـ) .
ـ عكرمة مولى ابن عباس (١٠٧ هـ) .
ـ الإمام الزهري (٥١ ـ ١٢٥ هـ) .
ـ ربيعة الرأي (١٣٦ هـ) .
ـ عبد الرحمن بن مهدي (١٣٥ ـ ١٩٨ هـ) .
ـ إبراهيم النخعي بالكوفة (ـ ١٩٦ هـ) .
ـ حسن البصري بالبصرة (ـ ١١٠ هـ) .
ـ سفيان الثوري بالكوفة (١٦١ هـ) .
ـ الليث بن سعد بمصر (٩٣ ـ ١٧٥ هـ) .
ـ الإمام الأوزاعي بالشام .

وتجمعت المذاهب التشريعية في تيارين أو مدرستين كبيرتين : مدرسة أصحاب الحديث ومدرسة أصحاب الرأي .

فى عام ١٩٥ هـ رحل الشافعى إلى بغداد ، رحلته الثانية ، فى خلافة الأمين ، وصارت له حلقة علمية فى دار السلام ، تتلمذ عليه فيها الكثيرون ممن أخذوا عنه ، وطرحوا مذهبهم إلى مذهب بقية أصحاب الرأى . وألف الشافعى فى هذه الرحلة التى دامت عامين كتابه المشهور « الحجة » . الذى رواه عنه أربعة من البغداديين : الكرابيسى ، والزعفرانى ، وأبو ثور ، والإمام أحمد بن حنبل .

ولما وفد على مصر أملى فيها ، فى جامع الفسطاط ، على تلاميذه ، كتبه الجديدة ، التى يجمعها كتابه الخالد « الأم » الذى حمل مذهبه الجديد ، وهو المذهب الذى وصل إليه باجتهاده فى مصر .

وأساس مذهبه أن الأصل هو القرآن والسنة ، ثم القياس فالإجماع . يقول الكرابيسى (٢٠٤ هـ) : ما كنا ندرى ما الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ، حتى سمعنا الشافعى يقول ذلك . والسنة الصحيحة عند الشافعى تلى القرآن الكريم ، وقد كان يقول : « إذا صح الحديث فهو مذهبى) .

وقد دافع دفاعاً قوياً عن العمل بخبر الواحد الصحيح ، مما نال عليه حظاً كبيراً عند أهل الحديث ، ولذا سماه أهل بغداد « ناصر السنة » . وقال محمد بن الحسن فيه : « إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان الشافعى » ، وقال الزعفرانى : « كان أصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعى فأيقظهم فتيقظوا » .

وقد ترك الشافعى الاستحسان الذى قالت به الأحناف والمالكية ،

بل لقـد أنكـره ، ولم يقل بالقياس إلا إذا كانت علته منضبطة ، ورد المصـالـح المرسلة ، وأنكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه واسعاً . وهو بذلك يجمع بين فقه مدرسة أهل الرأى وفقه مدرسة أصحاب الحديث .

وكتـابه « الرسالة » تحمل أبوابه أصول دفاعه عن السنة وحديث الـواحد وشروط صحة الحديث والخبر المرسل ، ويقول تلميذه المزنى (١٧٥ ـ ٢٦٤ هـ) قرأت كتـاب الـرسـالـة للشافعى خمسمائة مرة ، وما من مرة منها إلا واستفدت بفائدة جديدة لم أستفدها فى الأخرى . وبـالـرسالة وضع الشافعى علمًا كاملا ، هو علم أصول الفقه ، وقد عاصر الشـافعى الإمـام أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) الذى عرف بشدة اعتماده على الرواية ولقد أذهلت « الرسالة » للشافعى الإمام أحمد وغيره من جلة العلماء كابن مهدى الذى قال فيها بعد أن قرأها : لما نظرت الرسالة للشافعى أذهلتنى .

ـ ٥ ـ

وفى مصر الفسطاط دون كتب الإمام ابن إدريس الشافعى تلاميذه المصريون المزنى . البويطى ، يونس بن عبد الأعلى ، الربيع الجيزى ، الـربيع بن سليمان المـرادى ، عبـد الـرحمن بن عبد الله بن الحكم . (ـ ١٧٥ هـ) . . وفى مقـدمتهـا : « الـرسالة » و« الأم » . . وكان الشافعى قد أملاهما على تلاميذه فى حلقته بجامعة الفسطاط .

ولم يزل الشافعى مقيمًا بالفسطاط ناشراً للعلم ، ملازماً للتدريس

بجامعة عمرو ، « أو جامعة الفسطاط » ، كما يقول السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة (١ : ١٢٢) « طبعة الشرفية » .

وفى جامع عمرو ، جامعة الفسطاط ، كان ابن إدريس الجليل يجالس العلماء والأدباء والنقاد والشعراء ورجال البلاغة والبيان ، ويجالس جماهير الناس ، مع مرضه المزمن الذى عذبه طويلا ، وهو داء « البواسير » . وكان فى حلقته : عالم اللغة العميق الاطلاع على كنوزها ، ورواية الشعر الجيد المختار ، ومؤرخ الأحداث الموهوب الذكى .

وفى آخر عمره تزوج الشافعى أم ولده « دنانير » ، بعد وفاة زوجته حميدة ، وأنجب من دنانير ابنه « أبا الحسن » عام ٢٠٢ هـ . وقد خصص له مرضعة أندلسية اسمها « فوز » . وبذلك كان له ولدان : أبو عثمان محمد وأبو الحسن ، وبنتان ، هما زينب وفاطمة . وهؤلاء الذين مات عنهم هذا الإمام الجليل .

وفضلا عن الرسالة التى وضع بها علم أصول الفقه ، والتى كتبها وأملاها على تلاميذه فى جامعة الفسطاط ، ألف فى الفسطاط كتاب « أحكام القرآن » ، وكتاب « اختلاف الأحاديث » ، وكتاب « إبطال الاستحسان » ، وكتاب « جماع العلم » وكتاب « القياس » وكتاب « الرد على محمد بن الحسن » وكتاب « اختلاف مالك والشافعى » وكتاب « اختلاف على وعبد الله بن مسعود » ، وكتاب « ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف » ، و« خلاف ابن عباس » و « سير الأوزاعى » ، وكتاب « مسند الشافعى » . . أما كتابه « الحجة » فقد ألفه فى بغداد . . وهكذا أفاد الشافعى الناس والمتعلمين والمثقفين فوائد جليلة ، وقد ظل يكتب ويقرأ ويدرس ، والمرض

يحاصره ، حتى سقط القلم من يده ، واستأثرت به رحمة الله تعالى ، يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من رجب عام ٢٠٤ هـ - ٨٢٠ م ، رحمه الله تعالى .

والامام الشافعى مدفون بمصر ، وقد بنى عام ٦٠٨ هـ القبة الكبيرة على قبره الملك الكامل الأيوبى . وأجرى السلطان قايتباى إصلاحات بضريح الامام الشافعى عام ٨٨٥ هـ . وجدد قبة الامام الشافعى على بك الكبير عام ١١٨٦هـ . وبنت وزارة الأوقاف المسجد عام ١٣٢٢ هـ

وقد رثى الإمام الشافعى عند وفاته محمد بن دريد فقال :

ألم تر آثارَ ابنِ إدريسَ بعْدَهُ ... دلائلُها فى المشكلات لوامعُ

معالِمُ يفنَى الدهرُ وهْيَ خوالدٌ ... وتنخفضُ الأعلامُ وهْيَ فوارعُ

مناهجُ فيها للهدى مُتَصَرَّفٌ ... مواردُ فيها للرشادِ شرائعُ

ظواهرُها حُكمٌ ومستبْطنَاتُها ... لما حكم التفريقُ فيه جوامعُ

لرأْى ابنِ إدريسَ ابنِ عمٍّ محمدٍ ... ضياءٌ إذا ما أظلم الخطبُ ساطعُ

إذا المُفْظِعَاتُ المشكلاتُ تشابهتْ ... سما منه نورٌ فى دُجَاهنَّ لامعُ

أَبى اللَّهُ إلا رفعهُ وعُلُوَّهُ ... وليسَ لما يُعْليه ذو العرشِ واضعُ

تَوَخَّى الهدى واستنقذتْه يدُ التقى ... من الزيغِ إنَّ الزيغَ للمرءِ صارعُ

ولاذَ بآثارِ الرسولِ فحكمُهُ ... لحكمِ رسولِ اللهِ فى الناس تابعُ

وَعوَّلَ فى أحكامِهِ وقضائِه ... على ما قضى فى الوحيِ والحقُّ ناصعُ

تسربَلَ بالتقوى وليداً وناشئاً ... وخُص بلبِّ الكهلِ مُذهو يافعُ

وهُذِّب حتى لم تُشِر بفضيلةٍ ... إذا التمست إلَّا إليه الأصابعُ

فمنْ يكُ علمُ الشافعى إمامَهُ ... فمرتعهُ فى ساحةِ العلمِ واسعُ

سلامٌ على [illegible] تضمَّنَ جِسْمَهُ ... وجادت عليه المُدْجناتُ الهوامعُ

لئن فجعتْنَا الحادثاتُ بشخصِهِ ... لهنَّ لِمَا حُكِّمْنَ فيه جوامعُ

فأحكامُهُ فينَا بدورٌ زواهرٌ ... وأثارُهُ فينا نجومٌ طوالعُ[1]

(١) القصيدة أوردها الخطيب البغداى فى تاريخ بغداد وصاحب وفيات لأعيان (ابن خلكان) ج - ٣ - ص - ٣٠٩ .

وكان للإمام الشافعى منزلة كبيرة فى الشعر وروايته . بدأت صلته به منذ شبابه ومازال يجول فيه ـ حتى بعد أن انصرف إلى فقهه ـ وصار فى مكنته أن يرتجل فى المعنى الذى يريده بيتاً أو بيتين أو أبياتا .

وقد جمع الشافعى فى أول دراساته شعر الهذليين واختص به ، وشعرهم كان جاهلياً وإسلامياً فصيحاً تناولوا فيه الحماسة والفضائل والحكمة ، ولعل الشافعى أعجب بشعر هؤلاء لنشأته فى قبائلهم ورضاه عن طباعهم ؛ ولأن هذيلا ـ كما يقول الشافعى نفسه ـ : كانت أفصح العرب .

وروى الشافعى شعر الشنفرى ، وكان كثيراً ما يتمثل بأشعار الطفيل الغنوى كما أورد ابن أبى حاتم فى كتابه « آداب الشافعى ومناقبه » .

ويقول الشافعى فى حديثه عن مبدأ أمره : « خرجت عن مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت من أفصح العرب ، قال فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما رجعت إلى مكة أخذت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب » .

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعى وهو مستحض فى طلب الشعر والنحو والحديث .

واتصل الأصمعى بالشافعى يأخذ عنه شعر الشنفرى وشعر هذيل ويتعلم منـه روايتـه وشرحه وفصيحه وغريبه ، روى أبو عثمان المازنى قال : سمعت الأصمعى يقول : قرأت شعر الشنفرى على الشافعى بمكة .

وحكى الحسـين بن أحمـد البيهقى الفقيه ببغداد قال : سمعت حسان بن محمد يحكى عن الأصمعى أنه قال : صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعى ، قال : وحكى لنـا عن مصعب الزبيرى قال : كان أبى والشافعى يتناشدان ، فأتى الشافعى على شعر هذيل حفظا .

ويقـول الـدكتور عبد الجبار الجومرد فى كتابه « الأصمعى » عن المزهر للسيوطى : إنه درس ديوان الشاعر الجاهلى الشنفرى وشعر بنى هذيل فى مكة على الإمام محمد بن إدريس صاحب المذهب الشافعى . ثم قال : والظاهر أنه درس ذلك فى أواخر أيامه وهو مسن ، فى حين كان أستاذه أصغر منه سناً .

وحدث الصولى عن المبرد أنه قال : كان الشافعى من أشعر الناس وآدب الناس . وقال ابن رشيق : أما محمد بن إدريس الشافعى فكان من أحسن الناس افتناناً فى الشعر .

والشافعى فى لغته كلها معجب فاتن ، قال ابن هشام ، جالست الشافعى زمانا فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتبر : لا يجد كلمة فى العربية أحسن منها وقال ابن هشام : الشافعى كلامه لغة يحتج بها ، وقال : كانت لغته فتنة . وحدث عنه قال : كان قوم من أهل العربية

يختلفون إلى مجلس الشافعى معنا ويجلسون ناحية قال : فقلت لرجل من رؤسائهم : إنكم لاتتعاطون العلم (أى الفقه) فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعى .

ومع علو لغة الشافعى فى كل أقواله فإن شعره سهل ممتنع ، ولعلك إذا قست قطعة من نثره بمقطعة من شعره بدا لك الفرق بين اللغتين ، فإنه فى النثر يختار أجزل الألفاظ ، ويميل إلى الغريب والصعب .

أما ألفاظه فى الشعر فلن تعثر فيها على غريب ولا صعب بل كان جل شعره سهلا واضحا .

وكان شعره كله مقطعات ، فلم ينظم قصائد طوالا ، ولذا سهل الاقتباس منه والاستدلال به .

ويبدو أن ميله إلى المقطعات كان صادراً عن طبعه الذى اختار الإيجاز فى كل ما يكتب حتى قال فيه يونس بن حبيب : كان لسانه أكبر من كتبه .

ولما كان الشافعى قد قصد فى شعره إلى السهولة والوضوح وسلك فى أكثره سبيل الارتجال فإنه لم يقل فى كل القوافى ، بل غادر القوافى الصعبة فلم يسلكها ، واكتفى بالقول فى الحروف الجيدة التى لاتقف أمام العذوبة والرقة والسرعة والارتجال

جامعة الفسطاط الإسلامية التى تخرج منها أجيال من العلماء على يد الإمام الشافعى(١)

١ ـ دخلت مصر فى الإسلام ، واستظلت بلوائه ، وحملت راية العروبة لأول مرة ، منذ فتحها القائد العربى المسلم عمرو بن العاص عام ٢٠ هـ / ٦٤٠ م . وبفضل عبقرية هذا القائد العظيم انتهى حكم الرومان لمصر ، هذا الحكم الاستعمارى المدمر ، ومات هرقل الامبراطور الرومانى وقد شاهد هزيمة جيشه ، وانحسار نفوذ امبراطوريته ، وضياع مستعمراتها ، ودانت مصر كلها بالطاعة للحكم الإسلامى ، مرحبة بانتهاء العصر الذى أورث بنيها الفقر والهوان .

وبنى عمرو عقب الفتح مدينة الفسطاط لتكون العاصمة الإسلامية الأولى لمصر . وبدأ فبنى مسجده الجامع عام ٢١ هـ ، واتخذ الأماكن التى نزل بها جيشه معسكراً عاماً ، وبنى حوله مدينة الفسطاط ، يتوسطها المسجد الجامع ، وأخذ يرفع الظلم

---

(١) الفسطاط كان الرائد الأول فى الكشف عن معالمه الأثرى المصرى على بهجت (١٨٥٨ ـ الجمعة ٢٨ من مارس ١٩٢٤) ، فله وحده يعود الفضل الأكبر فى التنقيب عن الفسطاط أول عاصمة إسلامية فى مصر ، حيث كشف عن حى كبير من أحيائها ، وعثر على آثار كثيرة نادرة . . إلى أنه هو الذى اكتشف عقد زواج الجنرال مينو من السيدة زبيدة الرشيدى حيث عثر على صورته فى محكمة رشيد الشرعية عام ١٨٩٨ ، وله كتاب عن الفسطاط صدر فى باريس عام ١٩٢١ ، وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقى . .

عن كاهل المصريين ، ويعاملهم بالعدل والإنصاف والرحمة ، وأكبر المصريون شريعة عمرو ولغته ودينه ، فدخلوا فى الإسلام أفواجا .

ويحدثنا التاريخ أن عمرو بن العاص (٤٧ ق هـ ٤٣ هـ) بعث إلى الخليفة عمر بن الخطاب فى المدينة معاوية بن خديج ، بشيراً بالفتح ، ففى المحرم من عام ٢٠ هـ ، فقدم المدينة وقت الظهيرة ، فأناخ راحلته أمام المسجد النبوى ، ثم دخله ، فبينما هو جالس فيه ، إذ خرجت طفلة من منزل عمر بن الخطاب ، يقول معاوية : فرأتنى شاحباً . وعلىَّ ثياب السفر ، فأتتنى وقالت : من أنت ؟ فقلت : أنا معاوية رسول عمرو بن العاص . .

فانصرفت الطفلة عنى ، ثم أقبلت تعدو ، حتى لأسمع حفيف إزارها على ساقها ، حتى دنت منى ، ثم قالت : قم فأجب أمير المؤمنين . فتبعتها ، فلما دخلت المنزل إذا بعمر يتناول رداءه بإحدى يديه ويشد إزاره باليد الأخرى ، فقال : ما عندك ؟

قلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح الله الإسكندرية . .

فخرج معى إلى المسجد ، وقال للمؤذن : أذن ، الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لى : قم فأخبر أصحابك ، فقمت فخطبت فيهم ، ثم صلى ودخل منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعوات ، ثم جلس ، وطلب الطعام ، فقدم خبز وزيت ، فقال : كل فإن المسافر يحب الطعام ، ولو كنت آكلا لأكلت معك ، فأكلت على حياء ، ثم قال : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟ قال ، قلت : أمير المؤمنين نائم ، قال : بئس

ما ظننت ، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية ؟ .

٢ - وكان عمرو بن العاص مع هذه الدنيا المقبلة ، والسعادة الغامرة ، والسلطة النافذة ، أسبق الناس إلى حق ، وأبعدهم عن باطل ، لم يعهد عليه أثناء ولايته على مصر نقض لعهد ، ولا خفر لذمة ، ولا انتهاك لحرمة . وقد نهض بإدارة شئون مصر إدارة حازمة رشيدة ، دستورها مبادىء الإسلام ، وشعارها الحق والعدل والمساواة والحرية .

وأخذت الفسطاط تتسع وتزدهر ، وصارت منذ إنشائها عام (٢١ هـ . ٦٤١ م) عاصمة مصر السياسية ، ومنارة الدين واللغة العربية والمعرفة والثقافة ومقر العمران والحضارة والرخاء أجيالا طوالا . .

وكان مسجد الفسطاط (أو مسجد عمرو بن العاص ، أو تاج الجوامع ، أو الجامع العتيق ، أو مسجد الراية) ، وهو أول مسجد قام فى مصر العربية ، وكان هو بعد قليل جامعة الفسطاط الإسلامية الكبرى .

وكانت المساجد الكبرى فى العواصم الإسلامية ، لا تلبث بعد إنشائها بقليل ، أن تتحول إلى جامعات تغص بالعلماء وحلقات العلم والدراسة والبحث وبالطلاب ، وفى المدينة ومسجدها النبوى قامت أول جامعة إسلامية ، ثم قامت فى مكة وفى المسجد الحرام بعد ذلك جامعة أخرى ، وفى دمشق والفسطاط والبصرة

والكوفة ، قامت جامعات إسلامية مزدهرة .

وكذلك قامت فى القيروان وقرطبة وفاس ، وغيرها من العواصم الحضارية الجديدة المنتشرة فى شرق العالم الإسلامى وغربه جامعات جديدة تقيم صروحاً شامخة للثقافة والمعرفة والحضارة ، فرأينا بعد القرون الأولى جامعة الأزهر والقرويين والجامعة النظامية والمستنصرية فى بغداد . .

٣ ـ ولقد أشرف على بناء المسجد الجامع والفسطاط أربعة من الصحابة ، هم : أبو ذرالغفارى ، ونهية بن صواب البصرى ، ومحمشة بن حمزة ، وأبو بصرة .

ومع أن عبد العزيز بن مروان ، الحاكم الأموى على مصر ، بعد استردادها من أيدى الزبيريين « ٦٥ ـ ٨٦ هـ » ، قد بنى حلوان ، وانتقل من الفسطاط إليها ، ومع أن العباسيين أنشأوا مدينة العسكر عام ١٣٥ هـ شمال الفسطاط ، ومع إنشاء أحمد بن طولون لمدينة القطائع عام ٢٥٤ هـ فإن الفسطاط لم تتغير منزلتها السياسية والعلمية والأدبية ، ولم تهبط مكانتها بحال من الأحوال ، وحين دخل الفاطميون مصر نظروا إلى الفسطاط على أنها العاصمة السنية لمصر ، فأداروا لها ظهرهم ، وأنشأوا القاهرة المعزية لتكون العاصمة السياسية والروحية لهم ، ولتكون صورة لعقيدتهم الشيعية وخلافتهم العلوية .

يحدثنا التاريخ أن المعز لما وصل مصر فى أوائل رمضان عام ٣٦٢ هـ خرج أعيان الفسطاط وأشرافها وعلماؤها لاستقباله فى

الجيزة ، واستعدت الفسطاط لاستقباله ، وسار موكبه من الجيزة ، ثم جاز النيل إلى الشاطىء الشرقى ، وأبى أن يدخل الفسطاط ، وجعلها وراء ظهره ، وأمر موكبه بالاتجاه إلى عاصمته الجديدة التى سميت « المنصورية » ، ثم صدر أمر المعز فى ذلك الحين بأن تسمى القاهرة المعزية : وقد جمع المعز أشراف الفسطاط من العلويين ، وفى مقدمتهم أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينى وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسينى الرسى ، وأحد أبناء الشريف أبى محمد بن طباطبا العلوى ، وسل أمامهم سيفه ، وقال : هذا نسبى ، ثم نثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسبى . .

٤ ـ ولقد ازدهر الفسطاط بتوالى الأيام ، وصارت العاصمة الحضارية والعلمية والأدبية والاقتصادية لمصر كلها خلال أجيال عديدة ، وصارت من أكثر الأمصار الإسلامية عمراناً ورخاء وعظمة .

أقام عبد الله بن عمرو بن العاص داره فى الفسطاط على صورة الكعبة الشريفة ، وكان عبد الله المتوفى عام ٦٨ هـ ، من جلة العلماء والمحدثين ، وكانت دار الأمير الأموى عبد العزيز بن مروان « وهو والد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى العادل » فى الفسطاط من ست طبقات أو أدوار ، وفيها خمسة مساجد وحمامان .

وقد جلس الصحابة والتابعون فى مسجد عمرو ، يتصدرون الحلقات العلمية ، ومجالس العلم . وشجع ولاة مصر العلماء على نشر الثقافة العربية فى كل مكان فى أرض مصر ، وأنشئت المساجد

وأصبحت حلقاتها دوراً للثقافة ، يتصدرها المحدثون والفقهاء والعلماء .

واستمرت الفسطاط تؤدى دورها الحضارى فى تاريخ مصر والعالم الإسلامى والإنسانية ، حتى ليصفها الاصطخرى فى القرن الرابع الهجرى بأنها مدينة مصر العظمى ، وبأنها غاية العمران والخصب ، وبأن مبانيها قد تبلغ الواحدة منها ثمانى طبقات . . . وينوه كذلك ابن حوقل بأهميتها الحضارية ، ويقول عنها المقدسى : إن الفسطاط هى « عاصمة » مصر ، ومفخرة الإسلام ، ومتجر الأنام ، وهى أجل من مدينة السلام ، ويقول : إن حلقات مسجدها الجامع ليس فى عواصم الإسلام أكبر منها ، ومع أن الفسطاط دمرها حريق مروع فى عهد الحاكم الفاطمى ، ثم أحرقها شاور الوزير الحاكم فى مصر عام ٥٦٤ هـ لئلا تقع فى أيدى الصليبيين ، وقد استمر هذا الحريق المدمر أربعة وخمسين يوماً ، مما جعل المدينة تفقد شيئاً فشيئاً الكثير من أهميتها الحضارية والفكرية ـ إلا أنها أخذت تضمد جراحها ، وتستمر فى أداء دورها ، حتى نهاية القرن السابع الهجرى ، فلا نجد لها فى القرن الثامن صدى أو ذكراً ، ومع أن اتخاذ المماليك للروضة مقراً لهم ، قد أضفى على الفسطاط المقابلة للروضة شيئا من الحياة ، إلا أن هذا لم يجعلها تقف على قدميها كما كانت من قبل .

لقد ترك الفاطميون الفسطاط لشأنها ، لكن صلاح الدين والأيوبيين أقبلوا عليها بكل عطف وتقدير ، ثم جاء المماليك

فاهتموا بالروضة واكتفوا بها عن غيرها . إلا أن مواجهة الفسطاط للروضة جعل الحياة تتدفق فى شرايينها شيئاً قليلا ، حتى أصابتها الشيخوخة وحطمتها ، ولقد زارها ابن سعيد الأندلسى عام ٦٣٧ هـ وتحدث عن شهرتها وماضيها العظيم . .

٥ ـ لقد قام مسجد الفسطاط بدور الجامعة الإسلامية الأولى فى مصر نحو سبعة قرون ، وعاشت هذه الجامعة العلمية الكبرى فى ظلال ازدهار الفسطاط وعمرانها ورخائها حتى إذا دمرت الفسطاط ، وضاعت مكانتها الحضارية والفكرية والأدبية وأصابها الشلل ، والشيخوخة ـ انتهى دور هذه الجامعة التى خدمت الإسلام والمسلمين أجيالا طوالا ـ بل خدمت العلم والإنسانية كافة طيلة سبعة قرون .

وكان قيام الحلقات العلمية والأدبية فى جامع الفسطاط ، بعد إنشائه بقليل . رمزاً لحركة البناء والتجديد وطموح العقل المصرى المتوثب دائباً .

واعتقد أن عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابى الجليل وابن أمير مصر عمرو بن العاص ، كان هو المؤسس الأول لهذا الصرح الشامخ ، ولهذه الجامعة الإسلامية الأولى فى مصر ، وكان عبد الله من أئمة الصحابة ، والمحدثين ، ولابد أن يكون قد صارت له حلقة علمية فى جامع الفسطاط ، يتصدرها ليفيد الناس فى دينهم ودنياهم ، من حيث يرى الدكتور على اليمنى دردير فى رسالته المخطوطة للدكتوراه التى عنوانها « الحياة الأدبية والنقدية فى الفسطاط ومسجدها الجامع » أن يزيد بن حبيب الذى بعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى إلى الفسطاط هو مؤسس

مدرسة الفسطاط العلمية ، وهذه الرسالة القيمة جديرة بأن تتبنى هيئة من هيئاتنا العلمية نشرها لأهميتها .

وعبد الله بن عمرو بن العاص كان بمثابة الروح البانى للحلقات العلمية الجامعية فى جامعة الفسطاط ، وقد أخذت هذه الحلقات تكبر وتنمو شيئاً فشيئاً ، وتتسع دائرتها . وتفيد العقل المصرى الإسلامى الجديد فائدة جلى ، ويكون يزيد بن حبيب تاليا لعبد الله بن عمرو بن العاص فى ذلك المجال ، ويذكر الدكتور دردير نصاً للسيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة ١ / ١١٩ » هو أن يزيد بن حبيب كان « أول من أظهر العلم بمصر ، وبين المسائل فى الحرام والحلال وكان الناس قبله يتحدثون فى الترغيب والترهيب والملاحم والفتن » ، وكان الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز قد بعث به إلى مصر ، كما بعث كذلك بنافع مولى عبد الله بن عمر « المتوفى عام ١٢٠ هـ » ليعلم أهلها السنن والقراءات ، وقد صار لنافع مدرسة علمية فى القراءات فى جامعة الفسطاط وكان من أعلامها : مجاهد بن جبير أحد العلماء الثقات فى القراءات ثم عثمان بن سعيد « ورش » الذى يذكر ياقوت فى « معجم الأدباء » أنه كان له مجلس عامر .

ومن مدرسة الحديث عطاء بن دينار الهذلى « المتوفى عام ١٢٦ هـ » وهو بالطبع يعد امتداداً لفكر عبد الله بن عمرو بن العاص . ومن تلاميذ يزيد بن حبيب : ابن لهيعة « ٩٦ - ١٦٠ هـ » والليث بن سعد « ٩٤ - ١٧٥[1] هـ » وعبد الله بن

---

(١) لما وقف الإمام الشافعى على قبره قال . لله درك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يجزهن عالم العلم ، والعمل ، والزهد ، والكرم .

وهب « ١٢٤ ـ ٢٠٠ هـ » الذى تأثر بآراء أستاذه الليث بن سعد بطريق مباشر ، وبآراء ابن حبيب بطريق غير مباشر .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول عن « ابن لهيعة » : « اعنده الأصول وعندنا الفروع » ولا بن وهب كتاب « الجامع فى الحديث » . . والليث بن سعد هو أحد المجتهدين الأعلام وصاحب مذهب من المذاهب المشهورة ، وكتاب تلميذه ابن وهب « الجامع فى الحديث » أقدم كتاب مصرى مخطوط بدار الكتب المصرية ، وعليه ما يفيد أن الكتاب قرىء فى مدينة إسنا عام ٢٧٦ هـ كما ورد فى « حسن المحاضرة » للسيوطى « ١ / ١٦٧ » .

وهكذا ازدهرت حركة جامعة الفسطاط « جامع عمرو » العلمية ، وزادت فيها مجالس العلم ، وحلقات العلماء ، زيادة كبيرة ، وأم هذا المسجد الجامع أو الجامعى الكثير من العلماء الأعلام ، والأئمة المجتهدين ، ممن أفادوا العالم الإسلامى ، وأدوا له خدمات صادقة فى مجال الثقافة والتعليم ، وفى مختلف علوم الشريعة والدين واللغة والأدب والعلوم الأخرى .

وقد قصد الكثير من الشعراء مصر ، ووفدوا إلى الفسطاط وجلسوا فى حلقات جامعتها الإسلامية الكبرى : أبو تمام الطائى « ١٩٠ ـ ٢٣١ هـ » تعلم فى هذه الحقات ، وأبو نواس وفد على الخصيب أمير مصر ، وجلس فى حلقات المسجد الجامع وأفاد منها ، وفى رحاب هذه الجامعة لقى الكثير من الشعراء والأدباء والنقاد وحاورهم وحاوروه .

ومن قبل ذلك وفد على مصر وفسطاطها ومسجدها الجامع :

جميل ، وكثير ونصيب ، وأيمن بن خريم الأسدى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ،وكان الفرزدق قد عزم على زيارة مصر وواليها عبد العزيز بن مروان ، لولا أن جاءه نعى الأمير ٨٦ هـ .

ولما وفد الإمام الشافعى إلى مصر عام ١٩٨ هـ وأملى فيها مذهبه الجديد ، وكان مسجد عمرو أو جامعة الفسطاط ، مركز نشاطه العلمى الدينى ، حيث صارت له حلقة فيه ، وفى زاوية منه كان يدرس فيها مذهبه ، ويدون آراءه ، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الذين دونوا المذهب ، ونشروا علم أستاذهم ، كالربيع بن سليمان المرادى « ١٧٤ - ٢٧٠ هـ » ، والبويطى « ٢٣١ هـ » والربيع الجيزى الذى ينسب إليه جمع كتاب الأم وترتيبه بعد البويطى ، وسعيد بن عفير« ١٤٦ - ٢٢٦ هـ » ، والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل الأكبر « ١٧٠ - ٢٥٨ هـ » .

وكان عبد الله بن طاهر أمير مصر يجعل سعيد بن عفير ثالث عجائب مصر بعد الهرمين والنيل . .

ومن جامعة الفسطاط انتشر مذهب الشافعى على أيدى تلاميذه ، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكى الذى كان أول من أعلنه فى مصر ونشره فيها عثمان بن الحكم الجذامى ومن شيوخ المالكية فيها أصبح بن الفرج ، كما كان محاولة لنشر المذهب الحنفى فيها على يدى القاضى إسماعيل بن سميع الكندى ، الذى ولاه العباسيون عام ١٦٤ هـ قضاء مصر ، فعمل على نشر مذهب أبى حنيفة فيها . أما الحنابلة فكانوا قليلين ، ومن علماء مسجد عمرو كذلك إسحاق بن الفرات تلميذ الليث بن سعد « توفى عام ٢٠٤ هـ » ، وقال عنه الشافعى : ما رأيت بمصر أعلم منه

باختلاف الناس ، وكذلك إسحاق بن بكر « ـ ٢١٨ هـ » وكان يجلس فى حلقة الليث ويفتى بقوله ، والطحاوى وإليه انتهت رياسة الأحناف فى مصر « ٢٣٩ ـ ٣٢١ هـ » ، وبكار بن قتيبة من قضاة مصر الأحناف « ٢١٠ ـ ٢٧٠ هـ » .

وقامت فى جامع عمرو حلقة تاريخية تصدرها محمد بن إسحاق صاحب السيرة « ـ ١٥١ هـ » ، ثم عبد الملك بن هشام راويته ، ومحمد بن أبى الليث ، كما وفد عليها ابن جرير الطبرى ، وكذلك المسعودى ، وتصدر هذه الحلقة المؤرخون المصريون ، مثل ابن عبد الحكم المصرى مؤلف كتاب « فتوح مصر » « ١٦٥ ـ ٢٥٦ هـ » ، ووالده عبد الله بن الحكم « ١٥٥ ـ ٢١٤ هـ » ، والكندى ، وابن يونس « ٢٧١ ـ ٣٤٧ هـ » ، وعمار بن وسيعة المصرى « ـ ٢٧٩ هـ » ، وابن الداية صاحب كتاب « المكافأة » ، وابن زولاق المصرى « ٣٠٦ ـ ٣٨٧ هـ » الذى ولد بالفسطاط .

وكان للمعتزلة كذلك حلقة فى مسجد عمرو وزعيمها ابن صبيح ، ومنهم أبو عمران موسى بن رباح الفارسى المتكلم ، وسيبويه المصرى « ٢٧٤ ـ ٣٥٨ هـ » ، وأبو على بن محمد العاصى الواسطى الذى كان من زعماء المتكلمين المعتزليين فى مصر .

ومن مدرسة اللغويين النحويين الأدباء فى جامعة الفسطاط : ابن ولاد « ـ ٢٣٢ هـ » شيخ العربية فى مصر كما يقول السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » « ١ / ٢٢٨ » ، وأحمد بن يوسف بن

الـداية صاحب كتاب « المكافأة » وقد توفى بعد عام ٣٣٠ هـ ، والحسـن بن دواد بن بابشـاذ المصرى الـنحـوى المشهـور « ـ ٢٣٩ هـ » ، وأبو جعفر النحاس « ـ ٣٣٨ هـ » ، والادفوى النحوى المفسر « ـ ٣٨٨ هـ » . . ويروى ياقوت فى كتابه « معجم الأدبـاء » أن الطلاب المصريين فى جامع عمرو سألوا ابن جرير الـطبرى « ـ ٣١٠ هـ » أن يمـلى عليهم شعر الطرماح ، وكانوا لا يعـرفـون شيئـاً منـه ، وكان ممن سأله فى ذلك على بن سراج المصرى ، فأجابهم إلى طلبهم ، وأخذ يمليه عليهم ويفسر غريبه « ٦ / ٤٣٣ معجم الأدباء » .

ومن العلماء الأجـلاء أبـو بكر بن الحداد « ٢٦٥ ـ ٣٣٥هـ » وكـان ـ كما يقـول السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » « ١ / ١٢٦ » يلقب بفقيه مصر وفصيحهـا وعابدها ، وكان يدرس فى جامع عمرو . .

وقد وفد على مصر أبو العباس الناشىء الأكبر « ـ ٢٩٣ هـ » وألقى آراءه فى الشعر والنقد فى مسجد عمرو .

وقـد تصـدر حلقـات العـلم فى هذه الجامعة الكبيرة بعض الـوزراء ، من مثـل أحمـد بن يحيى الوزير ابن سليمان التجيبى « ١٧١ ـ ٢٥٠ هـ » ، وكـان له مجلس عام بجامع عمرو ، وقد صحب الشافعى حين وفد إلى مصر ولازم حلقته العلمية فى هذه الجـامعة « جامعة الفسطاط » ، ولازمه ، وأخذ الكثير منه ، كما يقول السيوطى فى كتابه « بغية الوعاة » ـ ص ١٧٤ ، متخذاً فى ذلك سنن أستاذه الخالد ، الإمام الشافعى الذى كان يجلس فى

جامع عمرو ويلقى فيه دروسه العلمية الحافلة حتى استأثرت به رحمة الله ، وكان أعرابى يتردد على حلقة الشافعى فى مسجد عمرو ، فجاء بعد موت الشافعى ، فلم يجد قمر هذه الحلقة ، فقال:للطلاب الذين يجلسون فيها : أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقالوا : توفى إلى رحمة الله ، فامتلأت عيناه بالدموع ، وقال : رحمه الله وغفر له ، لقد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويوسع بالرأى أبواباً مسدودة .

وكما كان أبو نواس من قبل « ١٤٥ ـ ١٩٨ هـ » يجلس فى حلقة خاصة فى جامعة الفسطاط ، ويتخذ له مجلساً أدبياً فى المسجد الجامع ، ويلتف حوله الشعراء والأدباء والنقاد ، أثناء إقامته فى مصر ، **كان يفعل أبو الطيب المتنبى أثناء إقامته فى الفسطاط « ٣٤٦ ـ ٣٥٠ هـ »** ، يجلس فى حلقة خاصة فى جامعة الفسطاط وحوله الشعراء والنقاد والأدباء يملى وينشد شعره لهم ويستمع ، لنقدهم ، ويحاججهم ويحاجونه ، وكان ممن أخذوا ينقدون شعره : الوزير ابن حنزابة وزير كافور الإخشيدى « ـ **٣٥٧** » لأن المتنبى أبى أن يمدحه ، وكذلك سيبويه المصرى أبو بكر بن موسى الصيرفى ، وسواهما .

وكان هناك فى حلقة مسجد الفسطاط لفيف من الشعراء يبدون إعجابهم الشديد بالمتنبى وشاعريته ، ومنهم : عبد الله بن محمد ابن أبى الجوع ، وصالح بن رشدين الكاتب ، وابن طباطبا العلوى المصرى وسواهم .

وهكذا تعددت الحلقات وتنوعت فى جامعة الفسطاط وتصدرها

كبـار العلماء والأدباء والمفكرين والنقاد ، وخرجت هذه الحلقات أجيالا عظيمة من الباحثين والمتخصصين عاماً بعد عام ، مما أمد مصر بهالة من الجلال ، وجعلها تتصدر أمم العالم الإسلامى فى حمل رسالة الدين والثقافة والحضارة ، حتى لقد سبقت بغداد فى هذا المضمار .

٦ ـ استمرت جامعة الفسطاط تؤدى دورها الحضارى فى بناء الإنسان المصرى العـربى المسلم طيلة أيام الـولاة الأمويين والعباسيين ، وبفضـل هذه الجامعة أصدر أمير مصر الأموى عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمراً رسمياً عام ٨٧ هـ بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة .

وازدهرت الحلقات العلمية فى هذه الجامعة فى عهد الطولونيين (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ) ، والإخشيديين (٣٢١ ـ ٣٥٧ هـ) .

وانتقلت الـدولـة إلى الفاطميين من عام ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م واستـمــر الحكم فى أيديهم قرنــين كاملين أويزيد ، حتى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م .

وشيد الفاطميون الأزهر ، وافتتح فى رمضان عام ٣٦١ هـ ، ولم يلبث أن أقيمت الحلقات العلمية فيه ، وصار جامعة إسلامية ثانية فى مصر ، ثم أقـام الحـاكم الفـاطمى دار الحكمة أودار العلم الشهيرة ، عام ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، التى نافست الأزهر أيضاً فى رسـالتـه العلمية الجـامعـة ، ومع ذلك كله فقد كانت مكانة الفسـطاط وجـامعة الفسطاط قوية ضخمة ، لم تتأثر بالعواصف

السياسية الهوج ، فاستمرت جامعة الفسطاط فى مسارها العلمى ، فالحلقات العلمية والعلماء والطلابّ ، ظلت كما هى ، وظل التدريس فى مسجد عمرو طويلا .

وكما كان ابن حنبل يقول لطلابه فى بغداد : « إن بمصر - أى الفسطاط - صحيفة فى التفسير رواها على بن طلحة الهاشمى عن ابن عباس ، لو رحل رجل منكم ليطلع عليها ما كان هذا كثيراً ، كان الشريف الرضى (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) فى بغداد يقول :

ما مقامى على الهوان وعندى مقول صارم وأنف حمى
أحمل الضميم فى بلاد الأعادى وبمصر الخليفة العلوى ؟

وكان الشعراء فى العالم الإسلامى يهتفون لمصر وحلقاتها العلمية ، وجامعاتها الفسطاط ، والأزهر ، ودار العلم ، وهم يقولون :

أسكان مصر جاور النيل أرضكم
فأكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر

وظل مسجد الفسطاط الجامعى منتدى لأهل الفضل والأدب ، وحمل لواء الثقافة الإسلامية العربية خافقاً عالياً ، كما كانت الفسطاط مدينة حضارية ذات منزلة علمية وفكرية وأدبية واقتصادية رفيعة .

وإذا كان الجامع الأزهر قد أخذ ينافس المسجد الجامع الجامعى فى الفسطاط فى حلقاته العلمية ومجالسه الأدبية ، كما أخذت دار الحكمة تنافسهما معاً ، حيث صارت مثوى للمجالس العلمية

الكلامية والفلسفية ، فإن الفسطاط وقد فقد رعاية الدولة لم تضعف قوته ، ولم تلن قناته ، واحتفظت جامعة الفسطاط بأهميتها وبطابعها الديني والأدبي معاً ، وفي فترات ضعف الخلافة الفاطمية كانت الفسطاط وحلقاتها العلمية تتفوق على جامعات القاهرة ، مما تحدث عنه الكثير ممن زاروا مصر من العلماء والرحالة المسلمين ، من مثل أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت « ٥٢٩ هـ » الذي وفد على مصر ودرس الحركة الأدبية والفكرية فيها ، وكتب عنها رسالة بقي منها صفحات قليلة هي التي وصلتنا ، تحدث فيها ابن أبي الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها ومجالسهم الفكرية والأدبية . وكانت الفسطاط آنذاك أيضاً من أغنى الأمصار الإسلامية ، وأكثرها رخاء . . وقد وصفها القاضي محمد بن سلامة القضاعي (٤٥٤ هـ) في القرن الخامس فقال : إن فيها من المساجد ستة وثلاثين ألف مسجد ، ومن الحمامات ألفاً وثلاثة وسبعين حماماً ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، وأسواقها عامرة ، وهي عامرة بالمنازل الشاهقة وفيها دار عبد العزيز بن مروان ، وفي داخل هذه الدار خمسة مساجد ، وحمامان ، أما بضاعة العلم في الفسطاط فكانت أغلى البضائع وأنفسها .

وفضلا عن الأسوق التي كانت للكتب فقد كانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين بالعلم ، وحلقات العلم تعقد في المساجد ، وكان جامع عمرو الذي يسمى تاج الجوامع مكان التحديث والتدريس من عهد الصحابة إلى زمن الأئمة ، وفيه كانت حلقات الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

واستمرت هذه الحلقات العلمية كل يوم بلا انقطاع فى جامع عمرو ، وكانت لا تقل عن بضع وأربعين حلقة فى عام ٧٤٩ هـ ، كما يقول السيوطى فى « حسن المحاضرة » (٢ / ١٣٦) .

وأحرقت الفسطاط فى عهد الحاكم ثم فى عهد شاور عام ٥٦٤ هـ ، وفى الحريق الثانى محيت هذه المدينة الإسلامية بما فيها من ذكريات ومكتبات ومدارس ومعاهد علمية ، ومع ذلك أخذ الناس يعمرون الفسطاط فى عهد صلاح الدين الأيوبى والدولة الأيوبية ، ويسكنونها ، ويقيمون فيها ، وينظمون الحلقات العلمية والأدبية من جديد فى مسجدها الجامع .

وفى القرن السابع وفد ابن سعيد الأندلسى إلى الفسطاط عام ٦٣٧ هـ ، ووصفها فى كتاب (المغرب فى حلى المغرب) الذى أفرد منه فصلا كبيراً عن الفسطاط بعنوان « الاغتباط فى حلى الفسطاط » وقد نشر فى مصر يحدث فيه عن المدينة وأدبائها ، وشاعرها أبى الحسن الجزار (ـ ٦٧٩ هـ) وكانت الفسطاط قد استردت الكثير من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الجديدة التى أنشأها الملك الصالح فى جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط سنة ٦٣٨ هـ ، واتخذها عاصمة له ، فسكن كثير من الأمراء والكبراء بالفسطاط فى الضفة المقابلة للروضة . وظل مسجد عمرو برغم عفائه وقدمه ونسيان أمره عامراً بحلقات العلم والدرس ، وإن كان لم يعد إلى شموخه القديم .

ولم يتخل المسجد الجامع ـ جامعة الفسطاط ـ عن دوره الحضارى والفكرى والأدبى حتى نهايات القرن السابع الهجرى . ثم سكت الصوت ، وخفت الضوء وحمل الأزهر وحده عبء

الثقافة الإسلامية فى مصر العربية ، وهكذا انتهى دور جامعة الفسطاط الإسلامية .

٧ - إنها لرحلة شاقة . لا يستطيع فرد أن يعيش معها وحده ، وهى محتاجة إلى جهد طويل للكشف عن طبيعة المهمة العلمية ومناهج الدراسة التى اضطلعت بها جامعة الفسطاط نحو سبعة قرون كاملة . وللكشف عن العلماء الذين تصدروا حلقاتها عاماً بعد عام .

ياليت هذا المسجد الجامع العتيق ، يأخذ دوراً حضارياً جديداً فى ظلال الثورة العلمية التى ننشدها . . ويعود من جديد جامعة إسلامية كبرى فى مصر بجوار الأزهر الشريف ، وما ذلك على الله بعزيز .

شعـــر الديــوان

قافيـــة الهمـــزة

عمـــر الإنســـان

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

لاسرور يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم يعدل فراقهم . والغريب من فقد إلفه ، لا من فقد منزله .

وَاحَسْرَةً للفتى ساعةً يَعِيشُها بعْد أُودَّائِه
عُشْرُ الفتَى لو كانَ فى كَفِّه رمَى به بعدَ أحبَّائِه[1]

---

(١) المعنى أن الساعة التى يعشها المرء بعد أهل وده وأصحابه تشق عليه وتصبيه بالحسرات والفتى الحر لو كان يملك عمره ويصرفه كما يشاء رمى به وأفتقده بعد افتقاد أحبائه .

أوداء : جمع وديد بمعنى صاحب وكذلك أحباء جمع حبيب .

دع الأيام تفعل ما تشاء[1]

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْـعَـلُ مَا تَشَـاءُ   وَطِبْ[2] نَفسـاً إذَا حَكَمَ الْقَضَـاءُ

وَلا تَجْـزَعْ[3] لِحَادِثَـةِ[4] الليالى   فَمَـا لِحَـوَادِثِ الـدُّنْـيَا بَقَـاءُ

وَكُـنْ رَجـلاً عَلَى الأَهْـوالِ[5] جَـلْداً[6]

وَشِـيمَـتُـكَ[7] السَّـمَـاحَـةُ وَالْـوَفَـاءُ

وإنْ كَثُرَتْ عُيُوبُـكَ فى الْبَرَايا[8]   وَسـرك أَنْ يَكُـونَ لَهـا غِطَاءُ

تَسَـتَّـرْ بالسَّخَـاء فَكُـلُّ عَيْبٍ   يُغـطِّيهِ - كَمَـا قِيلَ - السَّخَاءُ[9]

وَلا تُرِ لْلأَعَـادِى[10] قَطُّ ذُلاًّ   فَإنَّ شَمَـاتَـةَ الأَعْـدا[11] بَلاَءُ

---

(١) جواهر الأدب ج ٢ ص ٢٤٦ للهاشمى .

(٢) طب : من طاب يطيب طيباً . لذ وحلا وحسن وجاد . وطابت النفس بكذا ، انشرحت .

(٣) الجزع : ضد الصبر وبابه طرب ، ويقال جزع من الشىء وأجزعه غيره .

(٤) حادثة الليالى : مصائبها : ومنه احداث الدهر : مصائبه ، وحودات الدهر نوائبه .

(٥) الأهوال : جمع هول ، من هال يهول هولا ، ومنه هال الأمر فلاناً أفزعه . والأهوال هنا المخاوف .

(٦) جلداً : شديداً ، قوياً . من جلد .

(٧) شيمتك : خلقك . والشيمة : الخلق .

(٨) البرايا : المخلوقات . ومفردها برية والأصل بهمزة والفعل برا .

(٩) السخاء : الجود . والسخى ، الجواد .

(١٠) الأعادى : جمع مفردها عدو وتجمع على أعداء . والفعل عادى والعدو هو ضد الصديق .

(١١) الأعدا : الأصل الأعداء وحذفت الهمزة لضرورة الشعـر .

وَلا تَرْجُ[1] السَّمـاحَةَ[2] مِنْ بَخيلٍ فَمـا فِى الـنَّـارِ لِلظمْـآنِ مَاءُ
وَرِزْقُـكَ لَيْسَ يُنْقِـصُـهُ التَـأَنِّى وَلَيْسَ يَزِيدُ فى الـرِّزْقِ الْعَنـاءُ[3]
وَلا حُزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرورٌ وَلا بُؤْسٌ[4] عَلَيْكَ وَلا رَخَـاءُ
إذَا ما كُنْـتَ ذَا قَلْبٍ قَنْـوعٍ فَأَنْـتَ وَمَـالِـكُ الـدُّنْـيا سَوَاءُ
وَمَـنْ نَزَلَـتْ بِسَـاحَـتِـهِ الْـمَنَـايا فَلا أَرْضٌ تقـيه وَلا سَمَـاءُ
وَأَرْضُ الـلَّهِ واسِـعَـةٌ وَلَـكِـنْ إذَا نَزَلَ[5] الْقَضَـا ضَاقَ الْفَضـاءُ
دَعِ الأَيَّامَ تَغْـدِرُ[6] كُلَّ حِينٍ فَمَـا يُغْـنى عَنِ المَـوتِ الـدَّوَاءُ

---

(١) ترج . تأمل . وأصل الفعل ترجو وأصل ترجو رجاً ، أى أمل قلبت الهمزة واواً .

(٢) السماحة : الجود والعطاء ، والصفح والفضل ، وهى من سمح سماحاً وسماحة أى جاد ، وسمح له أعطاه .

(٣) العناء : التعب والنصب والفعل عنى والمصدر عناء .

(٤) البؤس : الحاجة والفقر والبأس العذاب . وتقول : بؤس وبأس وبئس الرجل بالكسر بؤساً وبئيساً اشتدت حاجته .

(٥) وفى رواية إذا حم القضـــا .

(٦) الغدر : ترك الوفاء وهو على وزن فعل بفتح العين ومضارعه يفعــل .

لاتهزأ بالدعاء

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ[1] ... وَمَا تَدْرِى بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيلِ لا تُخْطِى وَلَكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ[2] وَلِلأَمَدِ انْقِضَاءُ

حب النساء

أَكْثَرَ النَّاسُ فى النِّسَاءِ وَقَالُوا ... إِنَّ حُبَّ النِّسَاءِ جَهْدُ[3] الْبَلاءِ
لَيْسَ حُبُّ النِّسَاءِ جَهْداً وَلَكِنْ ... قُرْبُ مَنْ لَا تُحِبُّ جُهْدُ الْبَلاءِ

---

(١) تزدريه : تحتقره وتستهين به وهو من زرى عليه فعله ، عابه والمصدر زراية .

(٢) الأمد : الغاية ومنتهى الشىء والجمع آماد .

(٣) بالفتح والضم الطاقة والجهد بالفتح المشقة . جهد : بالفتح . الرجل بكذا جد فيه وبالغ وبابها قطع .

قافيـــة البــاء

خالف هـــواك

وقال الشافعى رضى الله عنه[١] :

إذا حارَ أمـرُكَ فى مَعْـنَـيَيْنِ ... ولم تَدْرِ حيثُ الخَـطَا والصَّـوابُ

فخَـالِـفْ هوَاكَ فإنَّ الـهـوَى ... يَقُـودُ الـنـفـوسَ إلـى مايُعَـابُ

حق الأديب[٢]

أَصْـبَـحْـتُ مُطَّرَحـاً فى مَعشَـرٍ جهِلُوا

حَقَّ الأدِيبِ فَبَـاعُـوا الـرَّأْسَ بِالـذَّنَـبِ

والـنَّـاسُ يَجْـمعـهُـمْ شَمْـلٌ ، وَبَـيْنَهمُ

فى الْـعـقْـلِ فَرْقٌ وَفـى ٱلآدَابِ وَالْحَسَبِ

كَمثْـلِ مَا الـذَّهَبِ الإبْـرِيز يَشْرَكُهُ ... فى لَوْنِهِ الصُّفْرُ ، والتَّفْضِيلُ لِلذَّهَبِ

وَالْعُـودُ لَوْ لَمْ تَطِبْ مِنْـهُ رَوائِحُـهُ ... لَمْ يفْـرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ والْحطَبِ

---

(١) عن مكاشفة القلوب وهو مختصر « مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب » .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ١٧ ص ٣١٩ .

هكـــــذا الحـــــظ

تَمُوتُ الأُسْدُ[1] فى الْغَابَاتِ جُوعاً وَلَحْمُ الضَّـأْنِ[2] تَأْكُلُهُ الْكِـلاَبُ
وَعَــبْــدٌ قَدْ يَنــامُ عَلَى حَرِيرٍ وَذُو نَسَــبٍ مَفَــارِشُــهُ الــتُّـرَابُ

الشـــيب نذيـر الفنــاء

خبتْ[3] نارُ نفسى باشْتِعــالِ مَفَــارقى[4]
وأَظْـلَم لَيْلِى إذْ أَضَــاءَ شِهَــابُــهــا
أيا بُومــةً[5] قدْ عشَّشَــتْ فوْقَ هَامَتــى[6]
على الــرَّغْــم مِنِّــى حِينَ طَارَ غُرَابُــهــا
رأَيْتِ خَرابَ الْعُمْــرِ مِنِّى فزرْتِنى وَمَــأْوَاكِ منْ كُلِّ الــدِّيارِ خَرَابُهــا
أَأَنْــعمُ عَيْشــاً بَعْــدَ ما حلَّ عَارِضــي[7]
طلاَئِــعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنى خِضــابُهــا[8]
وعــزَّةُ عُمْــرِ المــرءِ قبـل مشيبـه وقـد فنِيَتْ نفسٌ تولَّى شبـابهـا

(١) الأسد جمع مفردها أســد

(٢) الضأن الغنم ، والفعل ضأن والمصدر ضأنا

(٣) خبت النار طفئـــت

(٤) المفرق وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه

(٥) البومة والبوم طائر ، كلاهما للذكر والأنثى

(٦) الهامة : الراس والجمع هام وهامة القوم رئيسهم .

(٧) العارض : صفحة خد الإنسان ومنه المثل رجل خفيف العارضين أى خفيف شعر عارضيه .

(٨) الخضاب مايلون به الشعر من حناء ونحوها

إذا اصفر لون المرءِ وابيض شعْرُهُ ... تَنَغَّصَ[1] مِنْ أيَامِــه مُسْتــطابُهــا

فَدَعْ عَنْكَ سَوءَاتِ[2] الْأُمورِ فَإنَّها ... حَرامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكابُها

وَأَدِّ زَكَاةَ الْجَـاهِ[3] واعْلَمْ بأنَّها ... كَمْثِل زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نِصَابُها[4]

وأَحْسِنْ إلى الْأَحْرَارِ تملِكْ رِقَابَهُمْ ... فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الكِرَاءِ اكْتِسابُها

وَلاَ تَمْشِيَنْ فى مَنْكِبِ[5] الْأَرْضِ فاخِراً ... فعمَّا قَليلٍ يَحْتَوِيكَ تُرَابُها

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيا فَإنِّى طَعِمْتُهَا ... وَسِيقَ إلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا

فَلَمْ أَرَهَا إلَّا غُروراً وَبَاطِلاً ... كما لاحَ[6] فى ظَهْرِ الفَلاَةِ[7] سَرَابُها[8]

وَمَا هِيَ إلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ ... عَلَيْها كِلابٌ هَمُّهُنَّ اجتِذَابُهَا

فإنْ تَجْتنِبْها كُنْتَ سِلْماً لأهلها ... وَإن تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلاَبُهَا

فَطُوبَى لنَفْسٍ أُوْلِعَتْ قعْرَ دَارِها ... مُغَلَّقَةَ الْأَبْوَابِ مُرْخًى حِجَابُهَا

---

(١) تنغص : تكدر وساء .

(٢) سوءات الأمور : قبيحها وساقطها .

(٣) الجاه : القدر والمنزلة

(٤) النصاب : المقدار الذى تجب فيه الزكاة .

(٥) منكب الأرض : الطريق والجمع مناكب .

(٦) لاح : لاح يلوح لوحاً بدا وظهر .

(٧) الفلاة : الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات .

(٨) السراب : الذى تراه نصف النهار وكأنه ماء فى الصحراء

الحلم سيد الأخلاق

إِذَا سَبَّنِى نَذْلٌ تَزَايَدْتُ رِفْعَةً ... وَمَا الْعَيْبُ إِلاَّ أَنْ أَكُونَ مُسَابِبُهْ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِى عَلَىَّ عَزِيزَةً ... لَمكَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُحَارِبُهُ
وَلَوْ أَنَّنِى أَسْعَى لِنَفْعِى وجدْتَنِى ... كَثِيرَ التَّوَانِى للذِى أَنَا طَالِبُهْ
وَلَكِنَّنِى أَسْعَى لأَنفعَ صَاحِبِى ... وَعَارٌ عَلَى الشَّبعانِ إِنْ جَاعَ صَاحِبُهْ

* * *

يُخَاطِبنِى السَّفيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ ... فأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فأزيدُ حِلْماً ... كَعُودٍ زَادَهُ الإِحْرَاقُ طِيبَا

* * *

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلاَ تُجِبْهُ ... فَخيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
فإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَّجْتَ عَنْهُ ... وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَداً يَمُوتُ

غنىٌّ بلا مال

بَلَوْتُ[1] بَنِى الدُّنيا فَلَمْ أَرَ فِيهِمُ
سِوَى مَنْ غَدَا وَالْبخْلُ مِلْءُ إِهَابِهِ[2]

فَجَرَّدْتُ مِنْ غِمْدِ القَنَاعَةِ صَارِماً ... قَطعْتُ رَجَائِى مِنْهُمُ بِذُبَابِهِ[3]

(١) بلوت . اختبرت وجربت .

(٢) الإهاب : على وزن كتاب الجلد أو مالم يدبغ .

(٣) الصارم : السيف القاطع ، ذباب السيف : حده وأطرافه .

فَلاَ ذَا يَرَانِى وَاقِفاً فى طَرِيقِهِ وَلاَ ذَا يَرَانِى قَاعِداً عِنْدَ بَابِهِ
غَنِىٌّ بلا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغنى إلاّ عَنِ الشَّىْء لا بِهِ[1]
إذَا مَا ظَالِمٌ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهباً وَلَجَّ عُتُوّاً[2] فى قبيحِ اكْتِسَابِهِ
فَكِلْهُ إلى صَرْفِ[3] اللّيَالِى فَإنَّهاَ سَتَدْعِى لَهُ مَالَمْ يَكُنْ فى حِسَابِهِ
فَكَم قَدْ رَأَيْنَا ظَالِماً مُتَمَرِّداً يَرَى النَّجْمَ تِيهاً[4] تحْتَ ظِلِّ رِكابِهِ
فَعمَّا قَلِيلٍ وَهْوَ فى غَفَلاتِهِ أَنَاخَتْ[5] صُروفُ الحادِثَاتِ بِبابِهِ
فَأَصْبَحَ لامَالُ وَلاَ جَاهُ يُرْتَجى وَلاَ حَسَنَاتٌ تَلْتَقِى فى كِتَابِهِ
وَجُوزِىَ بِالْأَمْرِ الَّذِى كانَ فَاعِلا وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوْطَ[6] عَذَابِهِ

ســـوء الإنصـــاف

وحدث ياقوت الحموى بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعى قال : كان لأبى عبد الله الشافعى امرأة تزوجها من قريش بمكة وكان يمازحها ويقول :

وَمِنْ الْبلِيَّة أنْ تُحِـ ـبَّ وَلاَ يُحِبُّكَ مَن تُحِبُّهْ
وَيَصُدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ وَتُلِحُّ[7] أَنْتَ فَلاَ تُغِبُّهْ[8]

---

(١) به : الهاء فى به راجعة إلى الشىء .

(٢) العتو : الاستكبار والتجبر وقيل العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى ، المتمرد

(٣) صرف الليالى : حدثانها ونوائبها ومصائبها .

(٤) تيها : من تاه يتيه تيهاً : تكبراً وتجبراً .

(٥) أناخت : حلت وجلست . والأصل . ناخ الناقة أبركها وأجلسها .

(٦) سوط عذاب : أشد العذاب .

(٧) وفى رواية أخرى : تلج .

(٨) أغب الزائر : جعل زيارته كل أسبوع ، وأغبت الحمى وغبت · جاءت يوماً وتركت يوما .

نبوءة الكواكب الكاذبة

خَبِّرَا عَنِّى الْمُنَجِّمَ أَنِّى   كافِرٌ بِالَّذِى قَضَتْهُ الْكَوَاكِبُ
عالِماً أنَّ مَايكُونُ وَمَا كَانَ   قَضَاءٌ مِنَ الْمُهَيْمِنِ وَاجِبُ

أنت حسبى

أنْتَ حَسْبى وَفِيك لِلْقَلْبِ حَسْبُ   وَلِحَسْبى إنْ صَحَّ لى فِيك حَسْبُ
لا أُبالِى متَى وِدَادُكَ لى صَحَّ   مِنَ الدَّهْرِ مَا تَعَرَّضَ خطْبُ

الغِرُّ طفل صغير

أرَى الْغِرَّ فى الدُّنْيا إذَا كانَ فَاضِلاً   تَرَقَّى عَلَى رُوس الرِّجَال وَيَخْطُبُ
وَإنْ كانَ مِثْلِى لا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ   يُقَاسُ بِطِفْلٍ فى الشَّوَارِعِ يَلْعَبُ

دع الأوطان واغترب

مَا فى الْمُقَام لِذِى عَقْلٍ وَذِى أدَبِ   منْ رَاحَةٍ فَدعِ الأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
وَانْصَبْ[1] فَإنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فى النَّصَبِ

---

(١) انصب : فعل أمر من نصب نصباً : جد فى الأمر واجتهد فيه .

إنِّى رَأيْتُ وُقُــوفَ الْمَــاءِ يُفْسِــدُهُ إنْ سَاحَ طَابَ وَإنْ لَمْ يَجْـرِ لَمْ يَطِبِ

وَالْأُسْــدُ لَوْلا فِرَاقُ الْأرْضِ ما افْـتَـرسَــتْ والــسَّــهْــمُ لَوْلا فِراقُ الْـقَـوْسِ لَمْ يُصِــبِ

وَالشَّمْسُ لَوْوَقَفَتْ فى الْفُلْكِ دَائِمـةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمن عَرَبِ

والتِّبْـرَ[1] كالتُّرْبِ مُلْقًى فى أمَاكِنِه وَالعُـودُ فى أرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ

فَإنْ تَغَـرَّبَ هٰذا عَزَّ مَطْلَبُـهُ وَإنْ تَغَـرَّبَ ذاكَ عَزَّ كالـذَّهَــبِ

سأضرب فى طول البلاد وعرضها

سَأَضْرِبُ فى طُولِ الْبِلادِ وَعَرْضِهَا أنَــالُ مُرادى أوْ أمُــوتُ غَريبــا

فَإنْ تلِفــتْ نفَســى فَلِلَّهِ دَرُّهــا وإنْ سَلِمتْ كانَ الـرُّجُــوعُ قَريبـا

خلق الرجـال[2]

ومَــنْ هابَ الـرِّجَــالَ تَهَـيَّبُـوه وَمَنْ حَقَــرَ الـرِّجَــال فَلَنْ يُهـابـا

وَمَنْ قَضَتِ الـرِّجَــالُ لَهْ حُقُــوقـاَ وَمَنْ يعْصِ الـرِّجـالَ فمـا أصَـابـا

---

(١) التبر الذهـــب

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ٨٢ للأصفهانى

قافيــة التــاء

أخلاق المسلم

لَمَّـا عَفَـوْتُ وَلَمْ أحْقِـدْ عَلَى أحَدٍ   أرَحْـتُ نَفْسِى مِنْ هَمِّ الْعَـدَاوَاتِ
إنِّـى أُحَـيى عَدُوِّى عِنْـدَ رُؤْيَتِـهِ   لأدْفَـعَ الـشَّـرَّ عَنِّى بِالـتَّـحِيَّاتِ
وأُظْهِـرُ الْبِشْـرَ لِلإنْسَـانِ أُبْغِضـهُ   كمـا إنْ قدْ حَشى قَلْبِى مَحَبَّـاتِ
الـنَّـاسُ داءٌ وَدَاءُ الـنَّـاسِ قُرْبُهُمُ   وَفِـى اعْـتِـزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَـوَدَّاتِ

آل رســـول الله

قال الشافعى رضى الله عنه[1] :

آلُ الــنـبــىِّ ذريعــتِــى ... وهُــمُــو إلــيْهِ وَسِــيلتِــى
أرْجُــو بهـــمْ أُعْــطَى غَداً ... بيدِى الــيمــينِ صَحِــيفــتِــى

باعوا الدين بالدنيا

قال الشافعى رضى الله عنه[2] :

قُضَــاةُ الــدهــر قدْ ضلُّوا ... فقــدْ بانَــتْ خَسَــارَتُــهــمْ
فَبَــاعُــوا الــدين بالــدُّنْــيَا ... فمــا رَبِــحَــتْ تجــارتُــهــمْ

---

(١) عن نـور الأبصار
(٢) عن المجموعة المباركة وخزينة الأسرار للنازلى
ويـريد الشافعى بقضاة الدهر الذين يزاولون الأحكام حبا فى الدنيا . فضل بذلك سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والبيت مضمن لفظ الآية الكريمة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

إحــدى المصيبــات

قال الشافعى رضى الله عنه[1] :

يالـهْفَ نَفسى على مالٍ أُفَـرِّقُـهُ عَلَى المُقِلِّين مِن أهـلِ المروءَاتِ
إنَّ اعتـذارِى إلى مَنْ جاءَ يسألُنى ماليسَ عندِى لَمِنْ إحْدَى المصيباتِ

يتلهف الشافعى فى هذه المقطوعة على المال الذى يريد أن يفرقه على الفقراء من أهل المروءة ويندب حظه لعدم حصول هذا المال فى يده ليسعف به المحتاجين . وهو يعتبر الاعتذار بالعدم والفقر مصيبة من المصائب .

---

(١) عن نور الأبصار للشبلنجى نقلا عن كتاب المناقب للرازى

آداب العلم

اصْبِــرْ عَلَى مُرِّ الْجَفَــا مِنْ مُعَلِّمٍ فَإِنَّ رُسُــوبَ الْعِلْمِ فى نَفَــرَاتِــهِ
وَمَــنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ الــتَّـعَــلُّم ساعــةً تَجَــرَّعَ ذُلَّ الْجَهْــلِ طُول حَيَاتِـهِ
وَمَــنْ فَاتَــهُ التَّعْلِيمُ وَقتَ شَبَــابِــهِ فَكَــبِّــرْ عَلَيْهِ أَرْبَــعــاً لِوفَــاتِــه
وَذَاتُ الْفَتَى ـ وَاللَّهِ ـ بالْعِلْمِ وَالتُّقى إِذَا لَمْ يكُــونــا لا اعْتِبَــارَ لِذَاتِــه

أصدقــاء الحيــاة

أُحِــبُّ مِنَ الإِخْــوانِ كُلَّ مُواتــى وَكــلَّ غَضِيض الطَّرْفِ عَن عَثَراتى
يُوَافِــقُــنــى فى كُلِّ أَمْــرٍ أُرِيدُهُ وَيَحْــفَــظُنــى حَيًّا وَبَعْــدَ مَمَــاتى
فَمِنْ لى بِهــذا ؟ لَيْتَ أَنِّى أَصَبْتُــهُ لَقَــاسَمْتُــهُ مَالى مِنَ الْحَسَنَــاتِ
تَصَــفَّحْتُ إِخْــوَانى فَكَــانَ أَقَلَّهُمْ ـ عَلَى كَثْرَةِ الإِخْوانِ ـ أَهْلُ ثِقَاتى

المــال يوجـب البــذل

حدثنا عبد الله الأصبهانى حدثنا أبو نصر قال : سمعت أبا عبد الله ابن أخى وهب يقول : سمعت الشافعى يقول[1] :

وَأنْـطَقَتِ الـدَّرَاهِمُ بَعْـدَ صَمْتٍ ... أنـاسـاً بَعْـدَمَـا كانُـوا سُكُـوتَـا

فَمـا عَطَفُـوا عَلَى أحـدٍ بِفَضْـلٍ ... وَلا عَرَفُـوا لِمـكْـرِمَـةٍ ثُبُـوتَـا

مكــارم الأخــلاق

إذَا رُمْـتَ الْـمـكـارِمَ مِنْ كَرِيمٍ ... فَيَمِّـمْ مَنْ بَنـى لِلَّهِ بَيْتَـا

فَذَاكَ الـلَيْثُ مَنْ يَحْـمى حِمـاهُ ... وَيُكْـرِمُ ضَيْفَـهُ حَيّاً وَمَـيْتَـا

حقــائق الإســلام

قال أبو العلاء المعرى فى حيرته :

يَدٌ بخـمْس مِئينٍ عسجـدٍ فُدِيَتْ ... ما بالُهـا قُطِعَتْ فى رُبْـعِ دينـارِ ؟

ورد عليه الشريف المرتضى بقوله :

عِزُّ الأمـانـة أغْـلاَهَـا . وأرْخَصَهَـا ... ذلُّ الخيانـةِ فافْهَمْ حكمـةَ الْبَـارِى

---

(١) حلية الأولياء للحافظ أبى نعيم عبد الله الأصبهانى ٩ / ١٤٠ .

ونسبت للإمام الشافعى فتوى فى المسألة ، قبل أبى العلاء ؛ وهو قوله[1] :

هُنَاك مظلومةٌ غالَتْ بِقِيمتِها   وهاَهناَ ظُلِمَتْ هانَتْ عَلَى البارِى

والأولى دية اليد التى تقطع ظلما قصداً ففداؤها خمسمائة دينار ذهبا لأنها يد حر شريف ، والثانية يد السارق التى تقطع فى ربع دينار سرقته بالشروط التى تتوافر لقطعها عند الفقهاء .

هذه هى أخلاق الرجل

حدث الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى ينشد[2] :

جَزَى اللَّهُ عنَّا جعفراً حين أُزْلِفَتْ   بنا نَعْلُنا فى الواطِئينَ فزلَّتِ
هُمُ خلطونَا بالنفوس وألْجَئُوا   إلى حُجُرَاتٍ أدفأَتْ وَأَظَلَّتِ
أبَوْا أن يَمَلُّونَا ولَو أن أُمَّنَا   تُلاَقى الذى يلقَوْنَ منا لملَّتِ
وقالوا هَلُمُّوا الدارَ حتى تَبَيَّنُوا   وَتَنْجَلى الغمَّاءُ عمَّا تَجَلَّتِ
ومن بعدِ ماكنَّا لسلمَى وأهلَها   عبيداً وملَّتْنَا البلادُ وملَّتِ

---

(١) عن زهر الربيع .
(٢) عن آداب الشافعى ومناقبه .

وقد قال مؤلف كتاب آداب الشافعى عن هذه المقطوعة نقلا عن بعض علماء العربية : هذا الشعر لطفيل الغنوى الجاهلى . وقد أثبت محققه أنها لطفيل . وبهذا كان الشافعى يحبها فينشدها ويرددها كثيرا . وقد أنشدها من قبل الشافعى بعض الخلفاء فى الأحوال التى تناسبها ، وهو دليل حاسم على أنها ليست له .

قافيــة الجيــم

حــديث الضيــف(١)

مَاذا يُخَبِّرُ ضَيْفُ بَيْتِكَ أَهْلَهُ ... إنْ سيل كَيْفَ معادُهُ ومعاجُهُ

أَيَقُولُ : جَاوَزْتُ الْفُرَاتَ وَلَمْ أَنَلْ ... رِيًّا لدْبه وقَدْ طغتْ أمْواجُهُ

وَرقيتُ فى دَرَجِ الْعلاَ فَتضَايَقتْ ... عَمَّا أُرِيدُ شعابُهُ(٢) وفجاجُهُ(٣)

وَلتخْبرَنَّ خَصَاصتى(٤) بتَملّقى ... والْماءُ يُخْبِرُ عنْ قذاهُ(٥) زُجاجُهُ

عنْدى يَواقيتُ الْقريض ودُرُّهُ ... وعلىَّ إكْليلُ الْكلام وتاجُهُ

تَرْبى على رَوْض الرُّبا(٦) أزْهارُهُ ... ويرفُّ فى نادى النَّدى ديباجُهُ

وَالشَّاعرُ المِنْطيقُ أسْودُ سالخٌ(٧) ... وَالشعْرُ منْهُ لُعابُهُ ومُجاجُهُ

وعَداوةُ الشُّعراءِ داءٌ مُعْضِلٌ ... ولقدْ يَهُونُ على الْكريم علاجُهُ

---

(١) أورد هده الأبيات صاحب وفيات الأعيان لابن حلكان ٣ ٣٠٨
(٢) الشعب جمع شعاب وهو الطريق فى الحبل
(٣) فجاج جمع مفرده فجوة وهى المرحة والمتسع بين الشيئين
(٤) خصاصتى من حصر خصاصة وحصاصا افتقر والخصاصة الفقر وحاصة الإنسان قرابته
(٥) قداه القدى ما يقع فى الماء والعين من تبنة وسواها والقدى يأتى بمعنى العيب
(٦) الربا جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض
(٧) أسود سالخ الأسود الثعبان والسالخ الثعبان الخارج من جلده

فرج الله قريب

وَلَــرُبَّ نَازِلَــةٍ يَضِـيقُ لهـاَ الْفَتى ... ذرعــاً وَعِنْــدَ اللَّهِ مِنْهَـا الْمَخْـرَجُ
ضَاقَتْ فَلمَّـا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقـاَتُهاَ ... فُرِجَتْ ، وَكُنْتُ أظُنُّهــاَ لا تُفْــرَجُ

ما أقرب الفــرج

يروى عن الشافعي قوله[1]

صَبْــراً جَمِيلاً ما أقــربَ الفَـرَجَـا ... من راقَــبَ الـلَّهَ فى الأمــور نَجَــا
من صَدقَ الــلَّهَ لم يَنَــلْهُ أذًى ... ومــن رجَــاهُ يكــونُ حيثُ رَجَــا

(١) هو عن ابن كثير فى تفسيره ، وأصل هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « نزل المعونة من السماء على قدر المئونة ونزل الصبر على قدر المصيبة » وقد فرع الشافعي على المعنى ومعنى أن يصدق الإنسان الله أن يخلص له العبادة قولا وعملا .

قافيــة الحــاء

الصمت حكمة

قالُــوا سَكــتَّ وَقَــد خُوصِــمْــتَ قُلْتُ لَهُــمْ
إنَّ الْــجَــوَابَ لِبَــابِ الــشَّــرِّ مِفْــتَــاحُ
وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِــلٍ أوْ أحْمَقٍ شَرَفٌ وَفيهِ أيْضــاً لِصَوْنِ الْعِرْضِ إصْلَاحُ
أمــاَ تَرَى ٱلْأُسْــدَ تُخْــشَــى وهْــى صَامِتَــةٌ ؟
والْــكَــلْبُ يُخْــسَــى[1] لَعَــمْــرِى وهْــوَ نَبَّــاحُ

المفتــى المكــى

حدَّث الرَّبيع بن سُلَيْمان قال : كنا عند الشافعى إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم ، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال : فقلنا يسألُ الشافعىّ عن مسألةٍ لا ننظر فيها وفى جوابها ؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا فيها[2] :

سَلِ الْــمُــفْــتِى الْمَكى هَلْ فى تَزَاوُرٍ وَضَمَّــةِ مُشْتَــاقِ الْفُؤَادِ جُنَــاحُ

---

(١) يخسى : يرمى بالحصــى .
(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج / ١٧ / ص ٣٠٥ .

وقال : وإذا إجابة أسفل من ذلك :

أقُـولُ : مَعَـاذَ الـلَّهِ أنْ يُذْهِـبَ الـتقَى   تَلاصُقُ أكْبَـادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ[1]

قال الربيع : فأنكرت على الشافعى أن يفتى لحدث بمثل هذا فقلت : يا أباعبد الله تفتى بمثل هذا شاباً ؟ فقال لى : يا أبامحمد هذا رجل هاشمى قد عرَّس هذا الشهر - يعنى شهر رمضان - وهو حدث السن ، فسأل هل عليه بجناح أن يقبل أو يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذه الفتيا . قال الربيع فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لى أنه مثل ما قال الشافعى فما رأيت فراسة أحسن منها .

الفقيــه والصــوفى

فَقيهـاً وَصُـوفيّاً فَكُـنْ ليسَ وَاحِـداً   فَإنـى وَحَقِّ اللَّهِ إيَّاكَ أنْصَـحُ

فَذلِـكَ قاسٍ ، لَمْ يَذق قَلْبُـهُ تُقًـى

وَهـذا جَهُـولٌ ، كَيْفَ ذُو الْـجَهـلِ يَصْـلُحُ ؟

(١) الجراح جمع جراحة ، أو اسم من جرح

قافيـــة الـــدال

أخـــــلاق النـــاس

حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدث شعيب بن محمد الدبيلى قال أنشدنا الشافعى[1] :

لَيْتَ الْكِـلاَبَ لَنَـا كَانَتْ مُجَـاورَةً وَلَيْتَنَـا[2] لا نَرَى مِمَّـا نَرَى أَحَـدَا

إنَّ الْكِـلاَبَ لَتَهْـدى فى مَوَاطِنِهـاَ[3] وَالْخَلْقُ لَيْسَ بِهَـادٍ ، شَرُّهُمْ أَبَـدَا

فاهْـرَبْ[4] بِنَفْسِـكَ وَاسْتَـأْنِسْ بِوحْـدتِهـاَ

تَبْـقَ سَعِـيداً إِذَا مَاكُـنْـتَ مُنْـفَـرِدَا

المـــوت ســنة الحيـــاة

قال الأصبهانى : حدثنا ابن القاسم قال أملى علينا الزبير بن عبد الواحد يقول :

سمعت الحسن بن سفيان يقول : سمعت حرملة يقول : سمعت الشافعى يقول :

---

(١) حلية الاولياء ٩ / ١٤٩ .

(٢) رواية الربيع : وإننا بدل ليتنا

(٣) رواية الربيع أيضا : مرابعهـا .

(٤) فانج بدل فاهرب (رواية الربيـع) .

تمَنَّى رِجَـالٌ أنْ أمُـوتَ وَإنْ أمُتْ　　　فَتِـلْكَ سَبيلٌ لَسْتُ فِيهَـا بِأَوْحَـدِ
وَمَـا مَوْتُ مَنْ قَدْمَاتَ قَبْلِى بِضَائرى　　　وَلاَعَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِى بِمُخْلِدِى
لَعَـلَّ الَّـذِى يَرْجُـو فَنَـائى وَيدَّعِى　　　بِهِ قَبْـلَ مَوْتى أنْ يَكُـونَ هُو الـرَّدى

دهـرى رخـاء وشدة

وَلَـمَّـا أتَـيْتُ أطْـلُبُ عِنْـدَهُـمْ　　　أَخَـا ثِقَـةٍ عِنْـدَ ابْتِـلاَءِ الشَّـدَائِـدِ
تَقَلَّبْتُ فى دَهْـرِى رَخَـاءً وَشِـدَّةً　　　وَنَادَيْتُ فى الأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدِ ؟
فَلَم أرَ فِيمـا سَاءَنـى غَيْرَ شَامِـتٍ　　　وَلَـمْ أرَ فِيمـا سَرَّنـى غَيْرَ حاسِـدِ

صحبـــة النـــاس

إنِّـى صَحِبْتُ النَّــاسَ مَالَهُمْ عَدَدُ وَكُـنْت أحْسبُ أنِّى قَدْ مَلأتُ يدِى
لَمَّــا بَلَوْتُ أخِــلائـى وَجِــدْتُـهُمْ كالدَّهْر فى الْغَدْرِ لَمْ يُبْقُوا عَلى أحَدِ
إنْ غِبْتُ عَنْهُمْ فَشَــرُّ النَّاس يَشْتُمُنى وَإنْ مَرِضْتُ فَخَيْرُ النَّـاس لَمْ يَعُدِ
وَإنْ رَأَوْنـى بِخَـيْرٍ سَاءَهُـمْ فَرَحِـى وَإنْ رَأَوْنـى بِشَــرٍّ سَرَّهُـمْ نَكَــدِى

المنايــا فــوق الهامـــات

كَمْ ضَاحِــكٍ وَالْمَنَــايَا فَوْقَ هَامَتِـهِ لَوْ كانَ يَعْلَمُ غَيْـأَمَاتَ مِنْ كَمَدِ[1]
مَنْ كانَ لَمْ يُؤتَ عِلْماً فى بَقَاءِ غَدٍ مَاذَا تَفَــكُّــرُهُ فى رِزْقِ بَعْــد غَدِ

---

(١) الكمد : الحزن المكتوم .

عفـــا الله

قرأت فى أمـالٍ أملاها أبو سليمان الخطابى على بعض تلامذته ، قال الشيخ : كان الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ يوماً من أيام الحج جالساً للنظر ، فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها[1] :

عَفَـا اللَّهُ عَنْ عَبْـدٍ أَعَـانَ بِدَعْـوَةٍ خَلِيلَيْنِ كانـا دَائِـمَيْنِ عَلَى الْـوُدِّ

إِلَى أنْ مَشَى وَاشِى الْهَوَى بِنَمِيمة إلى ذَاكَ مِنْ هـٰذَا فَزَالا عَنِ الْعَهْدِ

قال : فبكى الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ وقال : ليس هذا يوم نَظَر ، هذا يومُ دعاءٍ ، ولم يزل يقول : اللهم ، اللهم ـ حتى تفرق أصحابه .

عـــداوة الحســـــاد

قال الشافعى رضى الله عنه[2] :

كلُّ الـعـداوةِ قد تُرْجـى مَوَدَّتُـهـا إلاَّ عدواةَ من عادَاكَ عن حَسَـدِ

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٧ / ٣٠٦ .
(٢) عن نور الأبصار للشبلنجى .

أيقظتني لمكرمة

جاء رجل إلى الشافعى[1] فقال له : أصلحك الله! صديقك فلان عليل .
فقال الشافعى : والله لقد أحسنت إلى وأيقظتنى لمكرمة ودفعت عنى اعتذارا يشوبه الكذب ، ثم قال :

يا غلام ، هات السبتية (السبتية : نعال مدبوغة لينة) ثم قال : للمشى على الحفاء (بلا نعل) على علة الوجاء (العلة المؤلمة كأنها من الوجأ باليد أو السكين) فى حر الرمضاء (الأرض الحارة من شدة الحر فى الصيف ووهج الشمس) من ذى طوى (جوع) أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب ، ثم أنشد :

أَرَى راحــةً للحقِّ عنــد قضــائِـه ... ويثقُـلُ يومـاً إنْ تَرَكْتَ على عمـدِ
وحسبُــكَ حظًّا أنْ تُرَى غيرَ كاذبٍ ... وقـولُـكَ لم أعلمْ وذاك من الجَهْدِ
ومن يقضِ حقَّ الجـارِ بعدَ ابنِ عَمه ... وصـاحبِه الأدْنَى على القُرْبِ والبُعْدِ
يعشْ سَيِّدا يستعـذبُ الناسُ ذكرَهُ ... وإنْ نَابــهُ حقٌّ أتــوْهُ على قصْــدِ

(1) من معجم الأدباء لياقوت عن حيثمة بن سليمان بن حيدرة

المـــوت يطلبـــه

وقال الشافعي رضي الله عنه[1] :

ومُتْعَب العيشِ مُرتــاحــاً إلى بلدٍ — والمــوتُ يطلبُــهُ من ذلِــكَ البلدِ
وضــاحِــكٌ والمنـايَا فوقَ مفـرقِـهِ — لو كانَ يعلمُ غَيْبــاً ماتَ مِن كَمَـدِ
من كانَ لَمْ يُؤتَ عِلْماً فى بقاءِ غدٍ — ماذا تفــكُّــرُهُ فى رِزْقِ بعــد غدِ ؟

كـــل من عليهـــا فـــان

قال ابن عبـد الحكم : سمعت أشهب يدعـو على الشـافعى فذكر ذلك للشافعى فقال[2] :

تمنَّى رجـــالٌ أن أمـوتَ وإنْ أمُتْ — فتــلكَ سبيلٌ لَسْتُ فيهـــاَ بأوْحَــدِ
فَقلْ للذِى يبغِى خلافَ الذى مَضَى — تهـيَّأْ لأخْـــرَى مثـلِهـــا فكـــأنْ قَدِ
وَقــد علمُــوا لَو ينفعُ العلمُ عندَهُمْ — إذا مِتُّ ماالـــداعِـى عَلَىَّ بمُــخْلَدِ

---

(١) عن العمـــدة لابن رشيق .
(٢) عن نور الابصار وحياة الحيوان للدميرى .
وكان ابن عبد الحكم من أصحاب الشافعي في مصر وكان من أكبر أصحابه ومن كتبه « عمر بن عبد العزيز رواية عن مالك » وكتاب « فتوح مصر وأخبارها » وأشهب هو ابن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكى المصرى ولد فى السنة التى ولد فيها الشافعى ومات بعده بثمانية عشر يوما ، واشتهر بعداوته للشافعى . وتروى هذه الأبيات لجرير .

عفــــو الله

إنْ كُنْتَ تَغْدُر فى الذّنوبِ جليدَا ... وَتَخَـافُ فى يَوْمِ الْمَعَـادِ وَعِيدَا

فَلَقَـدْ أَتَـاكَ مِنَ الْمُهَيْمِن عَفْـوُهُ ... وَأَفَـاضَ مِنْ نِعَـمٍ عَلَيْك مَزِيدَا

لا تَيْأَسَنْ مِنْ لطفِ رَبِّكَ فى الْحَشَا ... فى بَطْنِ أُمِّـكَ مُضْـغَـةً وَوَلِـيدَا

لَوْ شَاءَ أَنْ تَصْلَى جَهنَّم خَالِـدًا ... مَا كانَ أَلْـهَـمَ قَلْبَـكَ التَّـوْحِيداَ

التفــــويض لله

إذَا أَصْبَحْتُ عِنْـدِى قُوتُ يَوْمِى ... فَخَـلِّ الْـهَـمَّ عَنِّـى يَاسَعِـيدُ

وَلا تخـطرْ هُمُـوم غَد بِبَـالِـى ... فإنَّ غَداً لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ

أُسَلِّمُ إنْ أَرَادَ الـلَّهُ أَمْـراً ... فَأَتْـرُكُ مَا أُرِيدُ لِمـاَ أُرِيدُ

الشـــــعر

وَلَـوْلَا الـشِّعْـرُ بِالْعُلَمَـاءِ يُزْرِى ... لَكُـنْـتُ الْيَوْمَ أَشْعَـرَ مِنْ لَبِـيدِ

وَأَشْجَـعَ فى الْـوَغَى مِنْ كلِّ لَيْثٍ ... وَآل مُهَـلَّبٍ وَبَـنِـى يَزِيدِ

وَلَـوْلا خَشْـيَةُ الـرَّحْـمَنِ رَبِّى ... حَسِبْتُ الـنَـاسَ كُلَّهمُ عَبِيدِى

تقـــوى الله

حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا يوسف بن عبد الأحد قال : قلت للمزنى كان الشافعى يتروح ببيتين من الشعر ما هما ؟ فأنشدنى [1] :

يُرِيدُ الْـمَـرْءُ أَنْ يُعْـطَى مُنَـاهُ ... وَيَأْبـى الـلَّهُ إلَّا مَا أرَادَا

يَقُـولُ الْـمَـرْءُ فَائِـدَتـى وَمَـالى ... وَتَقْـوَى اللهِ أَفْضَـلُ مَا اسْتَفَـادَا

فى الأســفار خمس فوائــد [2]

تَغَـرَّبْ عَنِ الْأَوْطَانِ فى طَلَبِ الْعُلَى ... وَسَـافِـرْ فَفِى الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَـرُّجُ هَمٍّ ، وَاكْتِسَـابُ مَعِيشَـةٍ ... وَعِلْمٌ ، وَآدَابٌ ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ [3]

---

(١) حلية الأولياء ٩ / ١٥١ .
(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢ / ٢٦ .
(٣) ماجد : من مجد الرجل صار كريمًا ذا خلق طيب .

محـــن الزمـــان

مِحَـنُ الـزَّمَـانِ كثِيرَةٌ لا تَنْقَضِى ... وَسُـرُورُهُ يَأْتِـيكَ كَالْأَعْـيَادِ
مَلَكَ الْأكَـابِـر فَاسْتَـرَقَّ رِقَـابَهُمْ ... وَتَـرَاهُ رِقًّـا فى يَدِ الْأَوْغَـادِ[1]

حـــب الوالـــيّ

قَالُـوا تَرَفَّـضْـتَ قُلْتُ : كَلَّا ... مَا الـرَّفْضُ دِينـى وَلَا اعْـتِقَـادِى
لـٰكِـنْ تَولـيْتُ غَيْرَ شَكٍّ ... خَيْرَ إِمَـامٍ وَخَـيْرَ هَادِى
أنْ كانَ حُبُّ الْـوَلِـىِّ رَفْـضـاً ... فَإِنَّ رَفْـضِـى إلـى الْـعِـبَـادِ

---

(١) الوغد : ضعيف العقل ، الأحمق ، الدنيء والساقط من الناس .

قافيـــة الـــراء

جنـــان الخلـــد

يامَـنْ يُعَــانِقُ دُنْـيَا لابَقَــاءَ لَهَــا ... يُمسْى وَيُصْبِــحُ فى دُنْيَاهُ سَفَّــارا

هَلاَّ تَرَكْتَ لِذِى الـدُّنْيَا مُعَــانَقَــةً ... حَتَّى تُعَـانِقَ فى الْفِـرْدَوْسِ أبْكارَا

إنْ كُنْــتَ تَبْــغــى جِنَــانَ الْـخُـلْدِ تسْـكُـنُـهـا

فَيَنْـبــغــى لكَ أنْ لا تَأْمَــنَ الـنَّــارا

أمطـــــرى لؤلـــؤا

أمْـطِرى لُؤْلُــؤاً جبــاَلَ سرنــديـ ... ـبَ وَفِـيضى آبــارَ تكــرورَ تِبْــرَا

أنَــا إنْ عِشْتُ لَسْتُ أعْـدَمُ قُوتــاً ... وَإذا متّ لَسْــتُ أعْــدَمُ قَبْــرَا

هِمَّـتِى هِمَّــةُ الْـمُـلُوكِ وَنَـفْـسِى ... نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْـمـذَلَّـةَ كُفْــرَا

وَإذَا مَاقَـنِـعْتُ بِالْقُــوتِ عُمْــرى ... فَلِمــاَذَا أزورُ زَيْداً وَعَــمْــرَا

وتنسب للبارودى ، ولعله استشهد بها فقط .

شقـــاء وأى شقـــاء

قال رضى الله عنه[1]

ومـن الـشـقـاوةِ أن تحـبَّ ومـن تحـبُّ يحـبُّ غيـرَك
أو أن تريدَ الـخيرَ للإنســان (م) وهــوَ يريـــدُ ضُـــرَّك

أمـر فـوق أمـرى

وقال الشافعى :

أفـكـرُ فى نوى إلـفـى وصبـرى وأحــمـد همـتِـى وأذمُّ دهـرى
ومـا قصـرتُ فى طلبٍ ولـكـن لربِّ الـنـاسِ أمـرٌ فوقَ أمـرى

المـرء خبيـر بنفسـه[2]

ما حك جلدَك مثلُ ظفـرِك فتـولَّ أنـتَ جمـيعَ أمـرك
وإذا قصـدتَ لحـاجـةٍ فاقـصـ ــدْ لمـعـتـرفٍ بفـضـلِك

---

(١) عن اداب الشافعى .
(٢) عن نور الأبصار : أن الشافعى رضى الله عنه قال :

شـــوق إلى مصـــــر

لَقَــدْ أَصْــبَــحَــتْ نَفْسِــى تَتُــوقُ إلـى مِصْــرِ
وَمِــنْ دُونِــهَــا أَرْضُ الْـمَـهَــامَــهِ[1] وَالْـقَـفْــرِ[2]

فَوَ الـلَّهِ لا أَدْرِى أَلِـلْفَــوْزِ وَالْـغنى أُسَـاقُ إِلَيْهـاَ أَمْ أُسَـاقُ إِلَى الْقَبْرِ ؟

وفى رواية أبى بكر ابن بنت الشافعى : قال الشافعى بمكة حين أراد الخروج إلى مصر :

لَقَــدْ أَصْــبَــحَــتْ نَفْسِــى تَتُــوقُ إِلَـى مِصْــرِ
وَمِــنْ دُونِــهــاَ قَطْعُ الْــمَــهَــامَــهِ وَالْــقَــفْــرِ

فَو الـلَّهِ مَاأَدْرِى أَلِـلْفَــوْزِ وَالْـغنى أُسَــاقُ إِلَيْهـاَ أَمْ أُسَـاقُ إِلَى الْقَبْـرِ

قال : فخـرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا حزمة ، فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال[3] :

عَلَيَّ ثِيابٌ لَوْ يُبَــاعُ جَمِــيعُــهــا بِفْلسٍ لَكَــانَ الْفلسُ مِنْهُنَّ أَكْثَـرَا

وفـيهنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَــاسُ بِبعضِهَــا نُفُـوسُ الْـوَرَى كانَتْ أَجَـلَّ وَأَكْبَـرَا

وَمَاضَرَّ نَصْلَ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غِمدهِ إِذَا كانَ عَضْبــاً أَيْنَ وَجَّهْتَــهُ فَرَى

---

(١) المهامه : المفازة البعيدة والصحراء القاحلة . ومفردها مهمه .
(٢) القفر : الصحراء التى لانبات ولا ماء ، والجمع قفار .
(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٧ / ٣٢٠ .

احذر مودة الناس

كُنْ سَائراً فى ذا الزَّمَانِ بسَيْرِهِ وَعَنِ الْوَرَى كُنْ رَاهِباً فى دَيْرِهِ
وَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَاحْذَرْ مَوَدَّتَهُمْ تَنَلْ مِنْ خَيْرِهِ
إنِّى اطَّلَعْتُ فلَمْ أجِدْ لى صَاحِباً أصْحبهُ فى الدَّهْرِ ولاَ فى غَيْرِهِ
فَتَرَكْتُ أسْفَلَهُمْ لكَثْرَةِ شَرِّهِ وَتَرَكْتُ أعْلاَهُم لِقِلَّةِ خَيْرِهِ

المشكلات

حدث الحسين بن محمد الزعفرانى قال : سئل الشافعى عن مسألة فأجاب عنها ثم أنشأ يقول[1] :

إذا الْمُشْكِلاَتُ تَصَدَّيْنَ لى [2] كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا لِلنَّظَرْ

وحدى للعبادة

إذَا لَمْ أجِدْ خِلاًّ تَقِيًّا فَوحْدَتى ألَذُّ وَأشْهَى مِنْ غَوِىٍّ أُعَاشِرُه
وَأجلِسُ وَحْدِى لِلْعِبَادَةِ آمِناً أقَرُّ لِعَيْنى مِنْ جَلِيسٍ أُحَاذِرُه

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٨ / ٣٠٩ .
(٢) تصدين : تعرضين .

اليقظة والحذر

تاهَ الْأُعَيْرِجُ[1] وَاسْتَعْلى بِهِ الْخَطَرُ ... فَقُلْ لَهُ خَيْرُ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْحَذَرُ
أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا تَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

التماس العذر

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِراً ... إِنْ بَرَّ[2] عِنْدَكَ فِيما قَالَ أَوْفَجَرا[3]
لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرضِيكَ ظَاهِرُهُ ... وَقَدْ أَجَلَّكَ[4] مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرا[5]

إياك

إِذَا مَاكُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ ... بِمَا اخْتَلَفَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِر
فَنَاظِرْ مَنْ تُنَاظِرُ فِى سُكُونٍ ... حَليماً لا تُلِحُّ وَلاَ تُكَابِر

---

(١) الأعيرج : حية صماء كالأفعى قال الليث لايؤنث والجمع الأعيرجات .
(٢) بر : صدق .
(٣) فجر : كذب .
(٤) أجلك : عظمك .
(٥) مستترا : أى فى غيبتك .

يُفِيدُكَ مَااسْتَفَادَ بِلا امْتِنَانٍ ... مِنَ النُّكَتِ اللَّطِيفَةِ وَالنَّوَادِرِ
وَإِيَّاكَ اللَّجُوجَ وَمَنْ يُرائِى ... بِأَنِّى قَدْ غَلَبْتُ وَمَنْ يُفَاخِرْ
فَإِنَّ الشَّرَّ فِى جَنَبَاتِ هٰذَا ... يُمَنِّى بِالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ

الدهر يومان

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذا أَمْنٌ وَذَا خَطَرُ ... وَالْعَيْشُ عَيْشَانِ ذَا صَفْوٌ وَذا كَدَرُ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ ... وَتَسْتَقِرُّ بأَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ
وَفِى السَّمَاءِ نُجُومٌ لا عِدَادَ لهَا ... وَلَيسَ يُكْسَفُ إلاَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

الصمت

وَجَدْتُ سُكُوتِى مَتْجراً فَلَزِمْتُهُ ... إِذَا لَمْ أجِدْ رِبحاً فَلَسْتُ بِخَاسِرِ
وَمَا الصَّمْتُ إلاَّ فِى الرِّجَالِ مَتَاجِرٌ ... وتَاجِرُهُ يَعْلُو عَلَى كلِّ تَاجِرِ

راضٍ بما حكم الدهر

وَمَاكُنْتُ أرضى مِنْ زَمَانِى بما تَرَى ... وَلٰكِنَّنِى رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدهْرُ
فَإِنْ كانَتِ الْأَيَّامُ خَانَتْ عُهُودَنَا ... فإِنى بِهَا رَاضٍ وَلٰكِنَّهَا قَهْرُ

نفـــس كبيـــرة

قال الشافعى رضى الله عنه[١] :

عَلَيَّ ثيابٌ لو تُقـاس جميعهـا ... بَفلْسٍ لكـان الفَلْس منهن أكثرا

وفيهن نفسٌ لو تُقاس ببعضها ... نفـوس الـورى كانت أجـل وأكبرا

وماضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضبـان حيث وجهته فرى

مثـــل الحســـام

لِســانَ كَشَقْشَقَـةِ[٢] الأَرْحَبِيـ ... ـيِّ[٣] وَكالْحُسَـامِ الْيَمانى الذَّكَرْ

ولَسْتُ بِإمَّعَـةٍ[٤] فى الـرِّجَـا ... لِ أُسَـائِـل هٰذا وَذَا مَا الْخَبَـرْ؟

وَلٰكِنَّنى مِدْرَهُ[٥] الأَصْغَرَيْـ ... ـنِ[٦] جَلَّابُ خَيْرٍ وَفَرَّاجُ شَرْ

---

(١) عن المستطرف للأبشيهى ونور الأبصار

(٢) الشقشقة . شيء كالربق يخرجه البعير من فيه إذا هاج وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة أى فإنما يشبه بالفحل .

(٣) الأرحبى نسبة إلى أرحب . قبيلة من بنى رحب . ومنها النجائب الأرحبيات .

(٤) امعة : الرجل الذى يتابع كل واحد على رأيه ولا يثبت على شيء

(٥) مدره المدره : المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال . وزعيم القوم والمتكلم منهم .

(٦) الأصغران القلب واللسان .

عـــار الهـــــوان[١]

قِيلَ لى قَدْ أَسَــى عَلَيْكَ فُلانٌ ... وَمُـقَــامُ الْـفَـتَـى عَلى الــذُّلِّ عارُ
قُلْت قَدْ جاءَنـى وَأحْــدَثَ عُذْراً ... دِيةُ الــذَّنْـبِ عنْـدَنــا الاعْتِــذارُ

الصـــديق والعـــــدو

كان الشافعى رضى الله عنه كثيرا ما ينشد قوله[٢]

ولــيس كثــيـرا ألــف خل لواحــد ... وإن عــدوا واحــد لكــثــيـــر

وهذا يفيد حب الشافعى لكثرة الأصدقاء ونفوره وتنفيره من اتخاذ الأعداء ، وهى أخلاق المعلمين والأئمة الذين يتعرضون للناس ويستكثرون من تلاميذهم وأصحابهم .

(١) عن نور الأبصار .
(٢) عن كتاب تنبيه المغترين للامام الشعرانى .

أجــــل وأكبــــر

حدثنا أبو الفضل نصر بن أبى نصر الطوسى قال : سمعت أبا الحسن على بن أحمد القصرى يقول : حدثنى بعض شيوخنا قال : لما أشخص الشافعى إلى (سر من رأى)[1] دخلها وعليه أطمار رثة وطال شعره ، فتقدم إلى مزين فاستقذره لما نظر إلى رثاثته ، فقال له : تمضى إلى غيرى ، فاشتد على الشافعى أمره ، فالتفت إلى غلام دان معه فقال : أيش معك من النفقة ؟ قال : عشرة دنانير قال : ادفعها إلى المزين ، فدفعها الغلام إليه ، فولى الشافعى وهو يقول[2] :

عَلَىَّ ثِيَابٌ لَوْ تُبَــاعُ جَمــيعُــهَــا ... بِفَلْسٍ لَكَــانَ الْفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَـرَا

وَفِـيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَــاسُ بِبَعْضِهــاَ ... نُفُــوسُ الْــوَرَى كانَتْ أَجَـلَّ وَأَكْبَـرَا

وَمَاضَرَّ نَصْلَ السَّيْفِ إِخْلاقُ غِمْدِهِ ... إِذَا كانَ عَضْبــاً حَيْثُ وَجَهْتَــهُ فَرَى

---

(١) سر من رأى : سامراء : بلدة فى العراق .

(٢) حلية الأولياء ٩ / ١٣١ .

قافيــــة الســـين

صديقـك من كان معك فى الشدائد

صَديقٌ لَيْسَ يَنْـفُـعِ يَوْمَ بُؤْسٍ ... قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فى الْـقِـيَاسِ
وَمَـا يَبْقَى الصَّـدِيقُ بِكُـلِّ عَصْـرٍ ... وَلاَ ٱلإِخْـوَانُ إلاَّ لِلتَّـآسِـى
عَبَـرْتُ الـدَّهْـرَ مُلْتَمِساً بِجُهْـدِى ... أَخَـا ثِقَـةٍ فَأَلْـهَـانِـى التِمَـاسِى
تَنَـكَّـرَتِ الْـبِـلاَدُ وَمَـنْ عَلَيْهَـا ... كَأَنَّ أُنَـاسَـهَـا لَيْسُـوا بِنَـاسِ

رحمتـــك اللهـــم

قَلْبِـى بِرَحْـمَـتِـكَ اللَّهُمَّ ذُو أُنُسٍ ... فى السِّرِّ وَالْجَهْرِ وَالإِصْبَاحِ وَالْغَلَسِ
وَمَـا تَقَـلَّبْتُ مِنْ نَوْمِى وَفى سِنَتِى ... إلاَّ وَذِكْـرُكَ بَيْنَ الـنَّفْسِ وَالنَّفَسِ
لَقَـدْ مَنَنْتَ عَلَى قَلْبِى بِمَعْـرِفَـةٍ ... بِأَنَّـكَ اللَّـهُ ذُو الآلاءِ وَالْـقُـدُسِ
وَقَـدْ أَتَيْتُ ذُنُـوبـاً أَنْتَ تَعْلَمُهـاَ ... وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحِى فِيهَـا بِفِعْلِ مسى
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِذِكْـرِ الصَّـالِحِينَ وَلا ... تَجْعَـلْ عَلَيَّ إذاً فى الدِّينِ مِنْ لَبَسِ
وَكُـنْ مَعِـى طُولَ دُنْيَاىَ وَآخِـرَتِى ... وَيَوْمَ حَشْـرِى بِمـا أَنْزَلْت فى عَبَسِ

طريق النجاة

يَا وَاعِظَ النَّاسِ عَمّا أَنْتَ فَاعِلُهُ ... يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ العُمْرُ بِالنَّفَسِ
احْفَظْ لِشَيْبِكَ مِنْ عَيْبٍ يُدَنِّسُهُ ... إِنَّ البَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ
كَحَامِلٍ لِثِيَابِ النَّاسِ يَغْسِلُهَا ... وَثَوْبُهُ غَارِقٌ فِى الرِّجْسِ وَالنَّجَسِ
تَبْغِى النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لَاتَجْرِى عَلَى اليَبَسِ
رُكُوبُكَ النَّعْشَ يُنْسِيكَ الرُّكُوبَ عَلَى
مَاكُنْتَ تَرْكَبُ مِنْ بَغْلٍ وَمِنْ فَرَسِ
يَوْمَ القِيَامَةِ لَا مَالٌ وَلَا وَلَدٌ ... وَضَمَّةُ القَبْرِ تُنْسِى لَيْلَةَ العُرسِ

وقفة الحر بباب نحس

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسِ ... وَنَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أَمْسِ
وَقَرُّ[1] بَرْدٍ وَقَوْدُ[2] فَرْدِ ... وَدَبْغُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسِ
وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دُبٍّ ... وَصَرْفُ حَبٍّ بِأَرْضِ خَرْسِ[3]

---

(١) القر : شدة البرد ومنه ليلة قارة ويوم قار : أى شديد البرد .
(٢) قود : القصاص ، والفعل أقاد القاتل بالقتيل قتله به .
(٣) خرس : أى لاتنبت زرعا ولا كلأ ، ومنه سحابة خرساء : أى ليس فيها رعد ولا برق .

وَنَــفْــخُ نَارٍ وَحَــمْــلُ عَارٍ وَبَــيْعُ دَارٍ بِرُبْــعِ فِلْسِ
وَبَــيْعُ خُفٍّ وَعــدمُ إِلْــفٍ وَضَــرْبُ أَلْفٍ بِحَبْــلِ قَلْسِ[1]
أَهْــوَنُ مِنْ وَقْــفَــةِ الْــحُــرِّ يَرْجُــو نَوَالاً[2] بِبَــابِ نَحْسِ

شــــرف العلـــــم

العِلْمُ مَغْــرِسُ كُلِّ فَخْــرٍ فَافْتَخِرْ وَاحْــذَرْ يَفُوتُك فَخْرُ ذَاكَ المغْرِسِ
وَاعْــلَمْ بِأَنَّ الــعِــلْمَ لَيْسَ يَنَــالُــهُ مَنْ هَمُّــهُ فى مَطْعَــمٍ أَوْ مَلْبَسِ
إِلَّا أَخُــو الــعِــلم الَّــذِى يُعْنَى بِهِ فى حَالَــتَــيْهِ عَارِيا أَوْ مُكْــتَــسِى
فَاجَعــلْ لِنَفْسِــكَ مِنْــهُ حَظًّا وَافِــراً وَاهْجُــرْ لَهُ طِيبَ الــرُّقَــادِ وَعَبِس
فَلَعَــلَ يَوْمــاً إِنْ حَضَــرْتَ بِمَجْلِسٍ كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخْرَ ذَاكَ المَجْلِسِ

* * *

(١) قلس : جمعة قلوس : وهو حبل السفينة الضخم فى أصل الاستعمال .
(٢) النــوال : العطــاء .

قافيــــة الصـــاد

خلفـــاء رســـول الله

شَهَـدْتُ بأَنَّ الـلَّهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأشْـهَـدُ أنَّ الـبَعْثَ حَقٌّ وَأخْلَصُ

وَأنَّ عُرى الإيمـانِ قَوْلٌ مُبَـيَّنٌ ... وَفِـعْـلُ ذَكِـيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْـقُصُ

وَأنَّ أبَـا بَكْـرٍ خَلِيفَـةُ رَبِّـهِ ... وَكانَ أبُو حَفْصٍ[1] عَلَى الْخَيْرِ يحرِصُ

وَأُشْهِـدُ رَبِّى أنَّ عُثْمـانَ فَاضِـلٌ ... وَأنَّ عَلِيًّا فَضْـلُهُ مُتَـخَـصِّصُ

أئِـمَّـةُ قَوْمٍ يُهْـتَـدَى بِهُـدَاهُـمُ ... لَحَى اللَّهُ مَنْ إيَّاهُـمُ يَتَـنَقَّصُ[2]

العـــلم نـــور

شَكَـوْتُ إلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْـظِى ... فَأرْشَـدَنـى إلَـى تَرْكِ المعَـاصى

وَأخْـبَـرَنـى بأَنَّ الـعِـلْمَ نُورٌ ... وَنُـورُ الـلَّهِ لايُهْـدَى لِعَـاصِـى

* * *

(١) أبو حفص : عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) لحى الله فلاناً : قبحــه .

قافيــــة الضـــاد

إذا لم تجـــودوا

إذا لَمْ تَجُـودُوا وَالْأُمُـورُ بِكُـم تَمْـضِـى
وَقَـدْ مَلَكَـتْ أيْدِيكُـمُ الـبَـسْطَ وَالـقَـبْضَـا

فَمَـاذَا يُرَجَّى مِنْـكُمُ إنْ عَزَلـتُـمُ وَعَضَّتْكُمُ الـدُّنْيَا بِأَنْيَابِهَـا عَضَّـا

وَتَـسْـتَــرْجِـعُ الْأَيَّامُ مَاوَهَـبَـتْـكُمُ وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ تَسْتَـرجِعُ القَرْضَا

قــف بالمحصـــب

يَاراكِـبـاً قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى وَاهْتِفْ بِقَـاعِـدِ خَيْفِهـاَ وَالنَّـاهِضِ

سَحَراً إذا فَاضَ الْحَجِيجُ إلَى مِنًى فَيْضـاً كَمُلْتَـطِمِ الفُرَاتِ الفَائِضِ

إنْ كانَ رَفْـضـاً حُبُّ آلِ مُحَمَّـدٍ فلْيَشْـهَـدِ الـثَّقَـلانِ أنِّى رَافِضِى

* * *

قافيـــة العيـــن

أحـــب الصالحـين

أُحِـبُّ الـصَّـــالـحينَ ولَسْتُ مِنْهُمْ ... لعَـــلِّى أنْ أنَـــالَ بهِـمْ شَفَـــاعـهْ

وَأكْـــرهُ مَنْ تجَـــارَتُـــهُ المعَـــاصِى ... وَلــوْ كُنَّـــا سَواءً فى الـبِـضَـــاعـهْ

أدب النـاصــــح

تعَمَّـــدنى بنُصْحـك فى انْفِـرَادى ... وَجنِّبْنِى النَّصِيحَـــةَ فى الْجَمَـاعَـه

فإنَّ الـنُّـصْـــحَ بيْنَ الـنَّـــاس نوْعٌ ... منَ التَّـوْبيخِ لا أرْضَى اسْتِمـاعَـه

وإنْ خالَـفْـتـنِـى وعَـصَـيْت قَوْلِى ... فلَا تجْـــزعْ إذا لَمْ تُعْطَ طَاعَـــه

الـــــــورع

الْـمـــرْءُ إنْ كَانَ عاقـــلاً ورِعـــا ... أشْـــغَـــلَهُ عَنْ عُيُوب غيْره ورَعُـــه

كمـــا الْـعـلـيلُ الـسّـقـيمُ أشْـغـلَهُ ... عنْ وَجـــعِ الـنَّـــاسِ كُلِّهم وجعُهُ

دعـــــاء إلى الله

وَرُبَّ ظَلُومٍ [1] قَدْ كُفِيت بِحَــرْبِـهِ ... فَأَوْقَــعَــهُ الْـمَـقْــدُورُ أيَّ وُقُــوعِ
فَمــا كانَ لِى الْإِسْــلَامُ إلَّا تَعَبُّـداً ... وَأدْعِــيَةً لا تُتَّــقَــى بِدُرُوعِ
وَحَسْبُـكَ أنْ يَنْجُـو الـظَّلُومُ وَخَلْفَهُ ... سِهَــامُ دُعَـاءٍ مِنْ قِسِىِّ [2] رُكُـوعِ
مُرَيَّشَـةً بِالْهُـدْبِ [3] مِنْ كلِّ سَاهِرٍ ... مُنْـهَـلَّةً أطْـرافُــهـا بِدُمُــوعِ

محــــال فى القيـــــاس

تَعْصِى الْإِلٰــهَ وأنْتَ تُظْهِــرُ حُبَّــهُ ... هٰذا مُحَــالٌ فى الْـقِــيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كان حُبُّــك صادقــاً لأطَـعْتَــهُ ... إنَّ الْـمُـحِبَّ لِمَـنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فى كُلِّ يوْمٍ يبْــتَــدِيك بِنِـعْـمَــةٍ ... مِنْــهُ وأنْــتَ لِشُـكْــرِ ذاكَ مُضِيعُ

---

(١) ظالم وظلوم بمعنى واحد

(٢) القسى . السهام

(٣) مريشة بالهدب . كناية عن لصق شعر الأهداب فيها كما يلصق الشعر على مؤخرة السهم لتزيد سرعته والمعنى دعوة المظلوم مرسلة إرسال السهم السريع لأنها مبتلة بريش الهدب ودموع الجفن . أى أنها كأنما ريشها هدب العيون ومددها دموع عين المظلوم

المفتـــى المــــكى

روى ياقـوت الحمـوى فقـال : بلغنى أن رجــلا جــاء الشـافعى برقعة فيها[1] :

سَلِ الْـمـفْـتِيَ الْمكِّيَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ إذَا اشْتَـدَّ وَجْدٌ بِامْرِىءٍ مَاذَا يَصْنَعُ

قال : فكتب الشافعى تحته :

يُدَاوِى هَوَاهُ ثُمَّ يَكْـتُـمُ وَجْـدَهُ وَيَصْبِـرُ فى كُلِّ الْأُمُـورِ وَيَخْضَـعُ

فأخذها صاحبها وذهب بها ، ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذى هو الجواب :

فَكَيْفَ يُدَاوِى والْهـوَى قاتِلُ الْفَتَى وَفِـى كُلِّ يَوْمٍ غُصَّـةً[2] يَتَجَـرَّعُ

فكتب الشافعى ـ رحمه الله تعالى : ـ

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِـرْ عَلَى مَا أَصَـابَـهُ فَلَيْسَ لَهُ شَىْءٌ سِوَى الْمَـوْتِ أَنْفَعُ

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ١٧ .
(٢) الغصة : الشجا : وما غص الإنسان من طعام أو غيظ وما اعترض فى الحلق فأشرق والهم والحزن .

حذار من الطمع

قال الشافعى(١) :

العبدُ حرٌّ إن قَنَعْ والحُرُّ عبدٌ إنْ طمعْ

فاقنعْ ولا تقنَعْ فلاَ شىءٌ يشينُ سوَى الطمعْ

الذل فى الطمع

حَسْبِى بِعِلْمِى إنْ نَفَعْ مَا الذُّلُّ إلاَّ فى الطَّمَعْ

مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ رَجَعْ مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعْ

* * * إلاَّ كَمَا طَارَ وَقَعْ

(١) عن مقدمة كتاب الأم .
فى البيت الأول قنع بكسر النون وفتحها من الأضداد والأولى بمعنى الرضا والقناعة . والثانية بمعنى الطمع والبطر . ومعنى الكلام واضح .

قافيـــة الفـــاء

من هـم الأصدقـــاء ؟

إذَا الـمَــرْءُ لاَ يَرْعَــاكَ إلاَّ تَكَلُّفــاً ... فَدَعْــهُ وَلاَ تُكْثِــرْ عَلَيْهِ التَّــأسُّفــاَ

فَفِى النَّـاسِ أبْدَالٌ وَفِى التَّرْكِ رَاحَةٌ ... وَفى الْقَلْبِ صَبْــرٌ لِلْحَبيبِ وَلَوْ جفاَ

فَمَــا كُلُّ مَنْ تَهْــوَاهُ يَهْــوَاكَ قَلْبُــهُ ... وَلا كلُّ مَنْ صَافيْتَــه لَكَ قَدْ صَفَــا

إذَا لَمْ يَكُنْ صَفْــوُ الْـوِدادِ طَبيعَــةً ... فلاَ خَيْرَ فى وُدٍّ يَجِــىءُ تَكَــلُّفَــا

وَلا خَيْرَ فى خِلٍّ يخُــوُنُ خَليلَه ... وَيَلْقَــاهُ مِنْ بَعْــدِ المَــوَدَّةِ بالْجَفَــا

وَيُنْكِــرُ عَيْشــاً قَدْ تقَــادَمَ عَهْــدُهُ ... وَيُظْهِـرُ سِرًّا كانَ بِالأَمْسِ قَدْ خَفَــا

سَلامٌ عَلَى الـدُّنْيَا إذا لَمْ يَكُنْ بهــاَ ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الْـوَعْدِ مُنْصِفَا

إمام يذكر فضل إمام

رحمة على إمام المسلمين أبي حنيفة

لَقَدْ زَانَ الـبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا   إمَامُ المُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَه
بِأَحْكَامٍ وَآثَارٍ وَفِقْهٍ   كَآيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَه
فَمَا بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ   وَلَا بِالْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفَه
فَرَحْمَةُ رَبِّنَا أَبَداً عَلَيْهِ   مَدَى الْأَيَّامِ مَاقُرِئَتْ صَحِيفَه

كيف الوصول إلى سعاد

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ[1] وَدُونَهَا
قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفُ
وَالرِّجْلُ حَافِيَةٌ وَلَا لِي مَرْكَبٌ   وَالْكَفُّ صِفْرٌ وَالطَّرِيقُ مَخُوفُ

---

(١) كنى بسعاد عن محبوبه الأكبر وهو الله .

ما أضعف القوى وأقوى الضعيف

أَكَلَ العُقَابُ[1] بِقُوَّةٍ جِيَفَ الفَلَا   وَجَنَى الذُّبَابُ الشُّهْدَ وَهْوَ ضَعِيفُ

المتنسكون

حدث عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو حاتم ، حدثنا حرملة قال : سمعت الشافعي يقول[2] :

وَدَعِ الَّذِينَ إِذَا أَتَوكَ تَنَسَّكُوا   وَإِذَا خَلَوْا فَهُمُ ذِئَابُ خِرَافِ[3]

* * *

---

(١) العقاب : طائر كاسر ـ بضم العين .

(٢) الرازى فى كتابه آداب الشافعى ص ٢٧٢ .

(٣) حقاف كما فى الطبقات : جمع « حقف » : ما اعوج من الرمل واستطال كما فى اللسان . وفى حلية الأولياء ٩ / ١٥٤ : ذئاب خراف .

قافيـــة القـــاف

لا مقام فى وطـن يضـــام الحـــر فيه

ارْحَــلْ بِنَـفْـسِـكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَــامُ بِهَــا
وَلَاتَـكُــنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْــلِ فى حُرَقِ
فَالْعَنْبَرُ[1] الْخَامُ رَوْثٌ فى مَوَاطِنِه وَفِى التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ
وَالـكُـحْــلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْــجَــارِ تَنْـظُرُهُ
فى أَرْضِــهِ وَهْــوَ مَرْمِــىٌّ عَلَى الـطُّرُقِ
لَمَّــا تَغَـرَّبَ حَازَ الفَضْـلَ أَجْمَعَـهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ[2]

حـــلاوة العلـــم

سَهَـرِى لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَــذُّ لى مِنْ وَصْــلِ غَانِـيَةٍ وَطِيبِ عِنَـاقِ
وَصَـرِيرُ أَقْـلَامِى عَلَى صَفَحَـاتِها أحـلَى مِنَ الـدَّوْكَـاءِ وَالـعُشَّــاقِ
وَأَلَــذُّ مِنْ نَقْــرِ الـفَـتَــاةِ لِدُفِّـهَــا نَقْــرِى لِأُلْقِى الـرَّمْـلَ عَنْ أَوْرَاقِى
وَتَمَــايُلِى طَرَبــاً لِحَــلِّ عَوِيصَــةٍ فى الـدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ
وَأَبِيتُ سَهــرَانَ الــدُّجَى وَتَبِيتُــهُ نَوْمــاً وَتَبْغى بَعْــدَ ذَاكَ لِحَـاقِى ؟

---

(١) العنبر : طيب يستخرج من بطن الحوت بعد موته .
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٣٠٧ ج ٣ .

علمـــى معـــى

عِلْمــى مَعــى حَيْثمــا يَمَّمْــتُ   قلبى وعَــاءٌ لهُ لَابــطْنُ صُنْــدوقِ
إن كُنْــتُ فى الــبَـيْتِ كانَ الــعِــلْمُ فِيهِ مَعى
أو كُنْتُ فى الــسُّــوقِ كانَ الـعـلْمُ فى الــسُّــوقِ

الصديق ربما أخطأ فى حق الصديق

رَامَ نَفْــعَــا فضـرَّ مِنْ غيْرِ قصْــدِ   وَمِـنَ البـرِّ مَا يَكُــونُ عُقُــوقَــا[1]

هو الحـــظ

قال محمد بن المنصور[1] : قرأت فى كتاب طاهر بن محمد النيسابورى بخط الإمام الشافعى :

إنَّ امـرءًا وجـدَ اليسَــارَ فلم يُصِبْ   حمــداً ولا شُكْــراً لغـيْرُ مُوفَّــقِ
الـجَــدُّ يُدْنِـى كلَّ أمــرٍ شاســعٍ   والـجَــد[2] يَفتــحُ كُلَّ بابٍ مُغْلقِ

---

(١) عن آثار البلاد وأخبار العباد ، والمخزون فى تسلية المحزون ، والعمدة لابن رشيق والكشكول ، للبهائى وصفوة الصفوة .

(٢) الجد بفتح الجيم فى الشطرين ومعناه الحظ . والمجدود معناه المحظوظ . وقد جاءت إحدى الـروايـات بهذا اللفظ الأخـير . ويـراد بالعـود الذى لم يثمر لتجرده . والمكدود فى البيت الرابع : المحروم . وحقق فعل أمر بمعنى تحقق وصدق ما سمعته .

وإذا سمعتَ بأنّ مكدوداً أتى ماءً ليشربَهُ فغاضَ فحقّقَ
وأحقُّ خلْقِ اللَّهِ بالهَمّ امرؤٌ ذو همةٍ يُبْلى بعيشٍ ضَيِّق
ومِنَ الدليلِ عَلَى القضاءِ وَكوْنِهِ بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحْمَقِ

* * *

قافيــــة الـــلام

العمـــل لا الكـــــلام

إنَّ الـــفَـقِيهَ هُوَ الـفَـقِيهُ بِفْعـلِهِ　　لَيْسَ الـفـقِيهُ بِنُـطْقِــه وَمَقَــالِــهِ
وَكَـذَا الـرَّئِيسُ هُوَ الـرَّئِيسُ بُخلْقِهِ　　ليسَ الــرَّئِيس بِقَــوْمِــهِ وَرِجَـالِـهِ
وَكَــذَا الـغَنِىُّ هُوَ الغَنِىُّ بِحَــالِــهِ　　ليسَ الـغـنـىُّ بِمُلْكِــهِ وَبِمــاَلِــهِ

وقال الربيع : سمعت الشافعى يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . وعن الربيع قال أنشدنى الشافعى[1] :

لَم يَفْــتــإِ الــنَّــاسُ حتَّــى أحــدثُــوا بِدَعًــا
فى الـــدِّين بالــرَّأْى لَمْ يُبْــعَــثْ بِهِــا الــرُّسُــلُ
حَتَّى استَخَفَّ بحقِّ اللَّهِ أَكْثَــرُهُمْ　　وَفِى الّـذى حَمَلُوا مِنْ حَقِـهِ شُغُـلُ

الإِخـــوان قليـــل فى النائبـــات

صُنِ النَّفسَ واحْمِلْها على ما يزينُها　　تَعِشْ سَالمــاً والقــولُ فيكَ جمِيلُ
ولا تُولِيَنَّ النَّــاسَ إلَاتــجــمُّــلا　　نبــابــك دَهْــرٌ أوجَفَــاكَ خليلُ

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٢٥٤ .

وإنْ ضَاقَ رِزْقُ اليوم فاصْبِرْ إلى غَدٍ عَسى نَكَبَاتُ الـدَّهْـرِ عَنْكَ تَزولُ
وَلا خَيْرَ فى ودِّ امِـرىءٍ مُتَـلوِّنٍ إذَا الرِّيحُ مالَتْ ، مَالَ حيْثُ تَميلُ
ومـاَ أكثرَ الإخْـوانَ حِينَ تَعُـدّهُمْ ولـكِـنَّـهـم فى الـنَـائِبَـاتِ قليلُ

المـــرء لا يولـــد عالمـــاً

تَعلَّمْ فَليْسَ المَــرءُ يُولَــدُ عَالمــاً وَلَيسَ أخـو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جاَهِـلُ
وإنَّ كَبِير القَــوْمِ لاَ علْمَ عِنْــدَهُ صَغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عَليه الَجحَــافِلُ
وإنَّ صَغيـرَ القَـومِ إنْ كاَن عَالِماً كَبيرٌ إذاَ رُدَّتْ إلـيهِ الـمحـاَفِـلُ

طالـــب الحكمـــة

لايُدْرِكُ الـحِــكْـمَــةَ مَنْ عُمْــرُهُ يَكْــدَحُ فى مَصْــلَحـةِ الأهـلِ
ولا يَنــالُ الـعِــلْمَ إلاَّ فَتًــى خَالٍ مِنَ الأَفْــكـارِ وَالـشُّـغـلِ
لَوْ أنَّ لُقْمــاَنَ الْـحَـكيم الـذى سَارَتْ بِهِ الــرُّكْبـاَنُ بالـفَضْـلِ
بُلى بِفَــقْــرٍ وَعِــيَالٍ لمــاَ فرَّقَ بَيْنَ الـتِّــبــنِ والـبَـقْـلِ

طريق المعالي

وقال رضى الله عنه [1] :

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد ... أضاع العمر في طلب المحال
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

البيت الأول في هذه الأبيات مروي ذائع ، ولكن بقدر الذيوع يكون قبول النفوس للأقوال . والمحال وفي البيت الثاني : المستحيل .

زادني علماً بجهلي

وقال الشافعي [2] :

كلما أدبني الدهر ... أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علما ... زادني علماً بجهلي

---

(١) من المجموعة المباركة .
(٢) وفيات الأعيان .

الشـــقى فى شـــقاء

الـمـرءُ يَحْـظَى ثُمَّ يعْـلُو ذِكْـرُهُ ... حَتَّـى يُزَيَّن بالـذى لَمْ يَفْـعَـلِ
وتَـرَى الغَنِىَّ إذَا تَكـامَـلَ مالـهُ ... يُخْشَى وَيُنْحَلُ[1] كلَ مَالَمْ يَعْمَلِ [2]

داريت كل الناس لكن . . .

وَدَارَيتُ كلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسدى ... مُدَارَاتـهُ عَزَّتْ وَعَـزَّ منَـالـهـاَ
وَكَيْفَ يُدَارِى المـرءُ حاَسِـدَ نِعْمَـةٍ ... إذَا كاَنَ لاَ يُرْضِـيه إلاَّ زَوَالُـهـاَ

---

(١) نحل بالفتح ينحل : نسب لنفسه ماعمله غيره .
(٢) فى الأصل : وترى الشقى إذا تكامل عيبه يشقى .

الزناديـــــــن

عفّوا تعِفُّ نِسَاؤكُمْ فِى المَحْرَمِ وتَـجـنَّبـوا مَالا يَلِيقُ بِمُسْلمِ
إنَّ الـزنـاَ دَيْنٌ فَإنْ أقـرضْـتَـهُ كَانَ الـزِّنـاَ مِنْ أهـلِ بَيْتِك فاعْلَمِ

أســباب الغنــى

أجُـودُ بِمـوجُـودٍ وَلَـوْ بِتّ طاَوِياً[1]
عَلَى الـجـوُعِ كَشْـحـاً[2]وَالـحَـشـاَ[3]يَتَـألَّـمُ
وَأظْهِـرُ أسبَابَ الغنىَ بَيْنَ رِفْقَتى لِيَخـفـاَهُـمُ حالِى وإنِّى لُمعـدِمُ
وَبَيْنِى وَبـيْنَ اللهِ أشْـكُـو فاقـتى حَقيقـاً فَإنَّ اللهَ بالـحـالِ أعلَمُ

ليس للشـــامتين يـــوم

وحدث أبو الحسن الصابونجى المصرى قال : رأيت قبر أبى عبد الله الشافعى بمصر وعند رأسه لوح مكتوب عليه[4] :

---

(١) طاويا : جائعاً وفعله طوى طياً فهو طاو وطيان .
(٢) كشحاً : الكشح مابين السرة ووسط الظهر ، ومنه يقال طوى كشحه على الأمر استمر عليه .
(٣) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع ومنه يقال أنا فى حشا فلان أى فى كنفـه .
(٤) عن الفهرست لابن النديم .

قَضـبتُ نَحْـبـى فسـر قوم حُمْـقـى بهـم غَفـلةٌ وقـوم
كأنْ يومــى عَلى حَتْـم وَلـيسَ للشّـامـتِـينَ يَوْمُ

وهو شعر أشبه بشعر الشافعى - ولعله كان أوصى بكتابته على قبره .

يا هاتكا حـرم الرجـال

يَاهَـاتِكـاَ حُرَمَ الـرِّجَـال وَقـاَطِعـاً سُبُـلَ المـوَدَّةِ عَشْتَ غَيْرَ مُكَـرَّمِ
لَوْ كُنْــتَ حُرّاً مِنْ سُلالَـةِ مَاجِـدٍ مَا كُنْتَ هتَّـاكـاً لِحُـرْمَـةِ مُسْلِمِ
مَنْ يَزنِ يُزْنَ بِهِ وَلَـوْ بِجِـدارِهِ إنْ كُنْـتَ يَاهَـذَاَ لَبِيبـاً فَافْـهَـمِ

قد بلـوتك

قال الأصبهانى : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسين بن محمد بن غوث الدمشقى قال : سمعت المزنى يقول : كُلم الشافعى فى بعض مايراد منه فأنشأ يقول :

وَلَـقَـدْ بَلَوْتُـكَ وَابْـتَلَيْتَ خَلِيقَتِى وَلَقَـدْ كَفَـاكَ مُعَلِّمِى تَعْلِيمِى [1]

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٤٩ وآداب الشافعى للرازى ص ٢٧٣ ، والمعنى لاتتعب نفسك فى شرح رأيك فأنا على بينة منه ولن أعمل به .

فضـــــل العلم

الـعِـلْمُ مِنْ فَضْـلِهِ ، لِمنْ خَدَمَـهْ   أنْ يَجْعَـلَ النَّـاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَـهْ
فَوَاجِـبٌ صَوْنُـهُ عَلَيْهِ كَمَـا   يَصُـونُ فِى النَّاسِ عِرْضَـهُ وَدَمَـهْ
فَمَـنْ حَوَى الـعِـلْمَ ثُمَّ أوْدَعَـهُ   بِجَـهـلِهِ غيـرَ أهـلِهِ ظَلَمـه

* * *

قافية النـــون

كيف ننال العلـــم ؟

أخـى لَنْ تَنَـالَ الـعِلْمَ إلاَّ بِستَّـةٍ   سأُنـبيك عَنْ تَفْـصيلِهَـا بِبَـيانِ
ذَكَاءٌ ، وَحِرْصٌ ، واجتِهَادٌ ، وبُلْغَةٌ   وَصُحْبَـةُ أُسْتَـاذٍ ، وَطُـولُ زَمَـانِ

صنت نفسى عن الهــوان

قَنـعـتُ بالقُـوتِ مِنْ زَمَـانـى   وَصـنـتُ نَفـسِى عَنِ الـهَـوانِ
خَوفـاً مِنَ الـنَّـاسِ أنْ يَقـولُـوا   فضْـلُ فلانٍ عَلَى فلاَنِ
مَنْ كُنْـتُ عَنْ مَالـهِ غَنِـيًّا   فلا أُبـالـى إذَا جَفَـانـى
وَمَـنْ رَآنـى بِعـين نَقْصٍ   رَأيْتُـهُ بالّـتـى رَآنِـى
وَمَـنْ رَآنـى بِعـينِ تمٍّ   رَأيُتـهُ كَامِـلَ الـمـعـانـى

أهيـــن لهم نفسى

قال أبو يعقوب البويطى : لم أزل أسمع الشافعى كثيرا يردد هذا البيت :

أهـين لهـم نفـسى لأكــرمهم بهــا   ولن تكـرم النفس التى لا تهينهـا

وقد يكون البيت ليس له ، وإنما أنشده ، والبويطى من أصحاب الشافعـى .

احفــظ لســانك

احْفَظْ لِسَــانَـكَ أَيهُّــا الإِنْسَــانُ   لَا يَلدغَــنَّــكَ إِنَّــهُ ثُعْـبَــانُ

كَمْ فى المَقَـابِـرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَـانِـهِ   كَانَــتْ تَهـاَبُ لِقـاَءهُ الأقْــرَانُ

نعيــب زمانـنــــا

نَعِــيبُ زَمَــانَـنَــا وَالـعَـيْبُ فِينـاَ   وَمَــا لِزَمَــانِـنَــا عَيْبٌ سِوانَــا

وَنـهـجُــو ذَا الــزَّمَـان بغيرِ ذَنْبٍ   وَلَــوْ نَطقَ الــزَّمَــانُ لَنــاَ هَجَانـاَ

وَلَــيْسَ الــذِّئــب يَأْكُــلُ لَحْـمَ ذِئــبٍ   ويأْكُــلُ بَعْــضُــنَــا بَعْــضــاً عَيَانَــا

عــــزاء [1]

وقال الإمام الشافعى معزيـــا :

إنِّى أعــزِّيكَ لا أنِّى عَلَى طمــعٍ   مَنِ الخُلودِ ، وَلكنْ سُنَّــةُ الــدِّينِ

فمــا المُعَــزِّى ببــاقٍ بعــدَ صاحبــهِ   ولا المُعَزَّى وإنْ عاشاَ إلى حَينِ [2]

فــؤادى من فؤادك طالــق

قال الشافعى فى صديق له تولى إمرة « بعض البلاد » فتغيرت عاداته عما كانت عليه ، فكتب إليه الشافعى يقول :

اذْهَــبْ فودُّكَ من فؤادِى طالــقٌ   أبــداً ولــيسَ طلاقَ ذاتِ الــبين

فإنِ ارعــويتَ فإنَّــهــاَ تطليقــةٌ   ويدومُ ودُّكَ لى عَلَى ثنْــتَــين

وان امـتنعتَ شَفَعْتُهــا بمثــالهــا   فتــكــونُ تطليقــيْن فى حَيْضَــيْن

وإذا الـثــلاثُ أتتْــكَ منى بَتَّــةً   لم تُغْنِ عنك ولاية (السِّيبين) [3]

---

(١) عن معجم الأدباء ١٧/ ٣٠٨ وشرح المقامات للشريشى .

(٢) سنة الدين : أى سنة الدين المجاملة بالتعزية لتصبير المفجوعين حتى يجد أهل الميت أنسا بالمجاملة تنسيهم فجيعتهم حينا . ويقول بعض العلماء : إنها تعويض روحى يجد به المحزونون صبرا وتسلية . أما الصوفية فلهم فى نعمة نسيان الميت كلام .

والمعزى والمعزى فى البيت الثانى الأول اسم للفاعل والثانى اسم للمفعول ، وكل منهما مجهولان يتصور فى كل واحد منهما أن يسبق وأن يلحق فهما متساويان . وهذا من قدرة العربية وفصاحتها .

٣) السيبين : بلــــد .

ارجع إلى رب العباد

زِنْ مَنْ وَزَنْــتَ بمــاَ وَز نْك وَمَــا وَزَنْــك بِهِ فَزِنْــهُ
مَنْ جَا إلــيكَ فَرُحْ إلــيـ ـه وَمَــنْ جَفَــاكَ فَصُــدَّ عَنْــهُ
مَنْ ظَنَّ أنَّــكَ دُونَــه فاتــرُكْ هَواهُ إذَنْ وهِــنــهُ
وارْجِــعْ إلَــى رِبِّ الــعِـبَــا دِ فَكُــلُّ مَا يَأْتِـيكَ مِنْـهُ

ســــهرت أعيــن

سَهِـرَتْ أَعـينٌ ، وَنــاَمَـتْ عُيونُ فِى أُمــورٍ تَكــونُ أَوْ لَا تَكــونُ
فادْرَأ الهمَّ مَا اسَـتطعْتَ عَنْ النَّفْــ ـس فحمــلانُـك الهمــومَ جُنُــونُ
إنَّ رَبَّــا كفَــاكَ بِالأمسِ مَاكــاَ نَ سَيكْــفـيكَ فى غَدٍ مَايكُــونُ

أمــتُّ مطــامعى

أمَــتُّ مَطَامِعى فأرحْـتُ نِفْسِـى فإنَّ الــنّـفْسَ مَاطَـمِـعَـتْ تَهــونُ
وَأَحــيَيْتُ الـقُــنُــوع وكَــانَ مَيْتــاً ففِــى إحــيائِــه عِرْضٌ مَصــونُ
إذَا طَمــعٌ يَحــلّ بِقــلْبِ عَبْــدِ عَلَتْــهُ مَهــانَــةٌ وَعَــلاَهُ هُونُ

كلُّ العُلُومِ سِوى القُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إلاّ الحَديثَ وعِلْمَ الفِقْهِ فى الدِّينِ
العِلْمُ مَا كَانَ فِيه قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ[1]

جنـــون الجنـــون

قال الأصبهانى : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : سمعت محمد بن بشير الآبُرى يقول : سمعت الربيع يقول كنت عند الشافعى فجاء رجل فكلمه بكلام فأنشأ الشافعى يقول[2] :

جُنُـونُكَ مَجْنُونٌ وَلستَ بِوَاجِدٍ ... طَبِيباً يُدَاوى مِنْ جنُـون جنُـون

أهين نفســـى

وحدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن أبى رجاء ، حدثنا الربيع بن سليمان قال : كتب إلىَّ البويطى وهو فى السجن : حسِّن خلقك مع الغرباء ووطن نفسك لهم ، فإنى كثيراً ماسمعت الشافعى يقول[3] :

أهينُ لَهُمْ نَفْسِى وَأكرِمُهَا بِهِمْ[4] ... وَلاَ تُكْـرَمُ النَّفْسُ التى لاَ تُهِينُهَـا

* * *

(١) البداية والنهاية لابن كثير الحافظ ١٠/ ٢٥٤ .
(٢) حلية الاولياء ٩/ ١٤٧ .
(٣) حلية الاولياء ١٤٨/ ٩ .
(٤) رواية« آداب الشافعى للرازى » : لكى يكرمونها . . . ولن تكرم - آداب الشافعى للرازى ص

حشــــو الكـــلام

لَا خَيْرَ فِي حَشْـوِ الـكَـلا م إِذَا اهـتَـدَيْتَ إِلـى عُيونـه
والـصَّـمْـتُ أجـمَـلُ بالـفَـتَى مِنْ مَنْـطِقٍ في غَيْرِ حِينِـه
وَعَـلَى الـفَـتَـى لَطبَـاعِـهِ سِمَـةٌ تَلوحُ عَلَى جَبـينِـه

ســـــأصبر

سَأَصْبِـرُ للحمـامِ وَقَـدْ أَتـانَى وَإلَّا فهـو آتٍ بَعْـدَ حِين
وإنْ أَسْـلَم يمـتْ قَبْلى حبيبٌ ومـوتُ أحِبَّتـى قَبْلى يَسـونى

قافيـــــة الهـــاء

الفقيــه والسفيـــه

قال الشافعى رضى الله عنه[1] :

ومـنـزلـةُ السـفـيهِ من الـفـقـيه كمـنـزلـةِ الـفـقـيهِ من الـسـفيهِ
فهـذا زاهـدٌ فى قربِ هذا وهـذا فيهِ أزهـدُ منـه فيهِ
إذا غلبَ الـشـقـاءُ على سِفيهٍ تقـطَّعَ فى محـالـفـةِ الـفـقـيهِ

* * *

(١) عن شرح المقامات للشريشى .

فهرســـت الديـــوان

الموضـــوع	الصحيفة